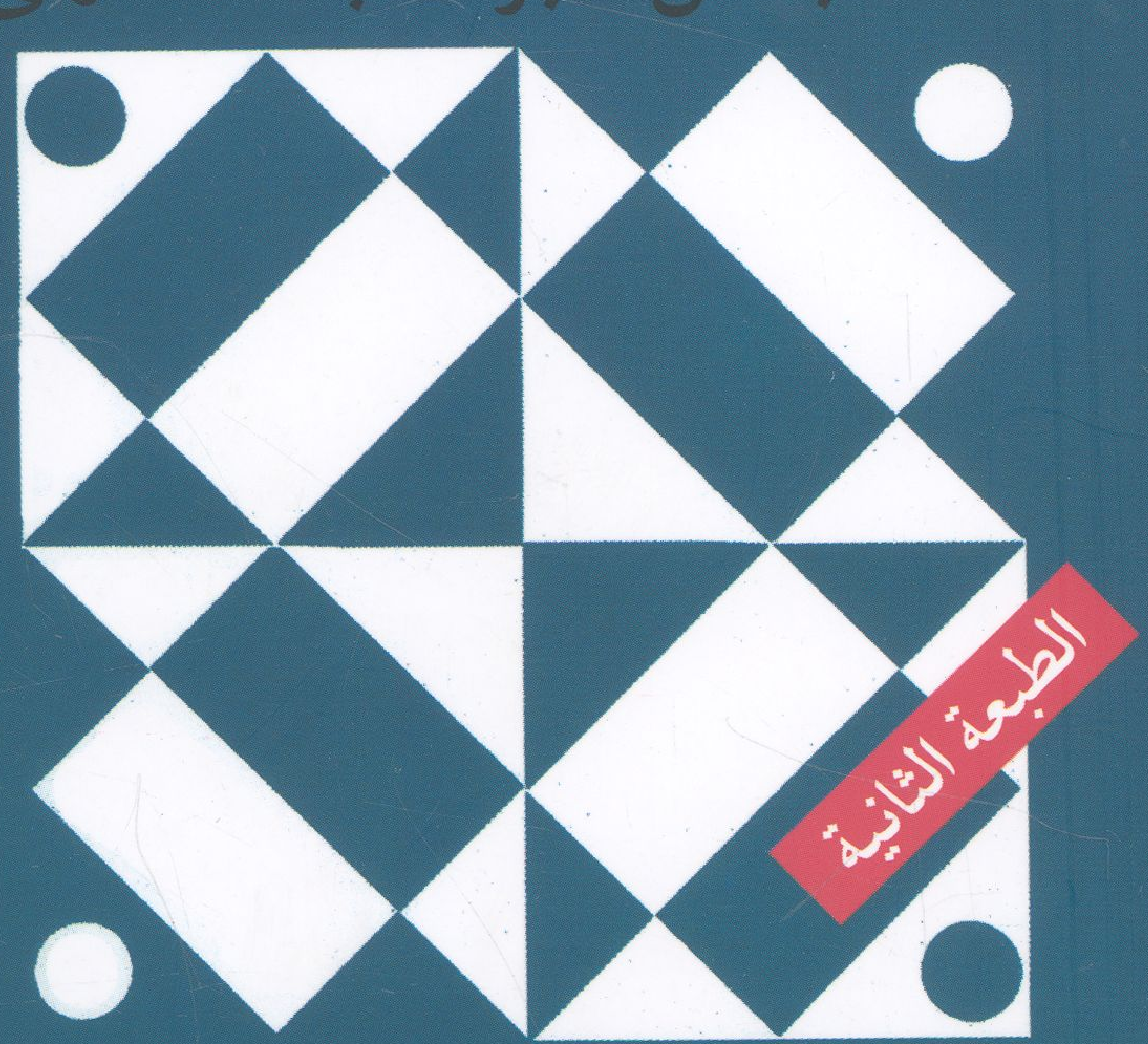
المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

التنمية والقيم

مناقشات حرة لنخبة من خبراء البنك الدولى



تأليف: ديڤيد بيكمان
رامجوبال أجاراوالا
سفن بير ميستر
إسماعيل سراج الدين

تقديم: باربر كونابل

ترجمة
محسن يوسف

تقديم الطبعة العربية
إسماعيل سراج الدين

التنمية والقيم

(مناقشات حرة لنخبة من خبراء البنك الدولى)

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٧٥٣/ ٢
- التنمية والقيم
(مناقشات حرة لنخبة من خبراء البنك الدولى)
- نخبة
- باربر كونابل
- محسن يوسف
- إسماعيل سراج الدين
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة:

Friday Morning Reflections
At the World Bank
Essays on values and development
by: David Beckmann, Ramgopal Agarwala,
Sven Burmester, and Ismail Serageldin
Foreword by Barber B. Conable

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

التنمية والقيم

مناقشات حرة لنخبة من خبراء البنك الدولى

تأليف: ديفيد بيكمان
رامجوبال أجاراوالا
سفن بيرميستر
إسماعيل سراج الدين

تقديم: باربر كونابل

ترجمة: محسن يوسف

مقدمة الطبعة العربية
إسماعيل سراج الدين



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١١٤٥٩
الترقيم الدولى: 1 - 373 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

مقدمة الطبعة العربية

كان الانشغال بالقضايا الإنسانية الكبرى من أكبر الموضوعات التى اهتم بها المشتركون فى لقاءات صباح الجمعة، وهم جميعا من العاملين فى البنك الدولى باعتباره أحد المؤسسات الدولية التى تهتم بقضايا التنمية فى العالم. وإلى جانب هذه الاهتمامات الشخصية كان عملنا فى البنك الدولى يتضمن قراءة ومعرفة وتحليل أحوال وشئون البيئة والأحوال الاقتصادية والاجتماعية ومشاكل السكان ونسب التنمية، وكذلك أحوال التعليم والرعاية الصحية وغيرها من القضايا المرتبطة بأحوال البشر فى جميع أنحاء العالم.

ولقد أدى الاطلاع على هذا الكم من المعرفة إلى التساؤل فيما بيننا عن دور القيم فى تحسين أحوال البشر، بحيث تصبح الأرض مكانا أفضل لمن يعيشون الآن، وكذلك لأجيال المستقبل. ولذلك كانت لقاءات الجمعة فرصة عظيمة لطرح الأفكار والتداول مع كل المشتركين فى هذه اللقاءات التى كانت تنتهى بإثراء رؤيتنا جميعا للقضايا الإنسانية الكبرى، وذلك من خلال المناقشات الجادة حول دور الدين والقيم فى عمل الإنسان ومن أجل التنمية المستدامة، وكانت هذه المناقشات تدور بين أعضاء لقاءات يوم الجمعة الذين ينتمون إلى خلفيات دينية وثقافية وتراثية متنوعة أثرت فى فحص قضايا التنمية وعلاقتها بالقيم من خلال زوايا مختلفة ومتنوعة.

ولقد أسفرت هذه اللقاءات عن أربع مقالات نشرت باللغة الإنجليزية فى عام ١٩٩١ من أجاراوالا وبيكمان وبيرمستر وسراج الدين، وكل منهم ينتمى إلى خلفية دينية وثقافية مختلفة عن الآخر. وتم نشر هذه المقالات باعتبارها آراء تمخضت عن خلفيات تضمنت اعتبارات أخلاقية واقتصادية وسياسية واجتماعية تتفق مع الخلفيات الخاصة بأصحاب هذه الآراء. وذلك بالإضافة إلى ما أسفرت عنه المناقشات التى اشترك فيها كل أعضاء المجموعة حول ما يمكن أن تلعبه القيم من دور مهم فى تشكيل حياة العالم والبشر.

وتقدم النسخة العربية من هذا الكتاب فرصة طيبة لمعايشة المناقشات الفكرية التى تمت داخل أكبر وأهم مؤسسة للتنمية فى العالم، على أمل أن تعبر الأفكار المطروحة فى هذا الكتاب عن أهمية القيم فى التنمية، وتعيد الثقة فى إمكانية تحسين مستقبل الإنسانية من خلال ما طرح فى الكتاب من أفكار يجمعها فى الأصل نسيج أخلاقى واحد، رغم اختلاف الانتماء إلى التقاليد الدينية والثقافية لأصحاب الآراء المطروحة التى ركزت على معالجة قضايا التنمية وسبل الحفاظ على الحياة بطريقة أفضل على كوكب الأرض، وعلى أمل أن تبشر هذه المحاورات بالرغبة فى العمل على تحقيق مرحلة جديدة يحل فيها الحوار مع الآخر محل الصراع والنزاع والصدام.

مدير مكتبة الإسكندرية

إسماعيل سراج الدين

تقديم

باربر كونابل
رئيس البنك الدولى*

فى صباح كل يوم جمعة وفى البنك الدولى يجتمع نخبة من الأفـراد لمناقشة ما يشغلهم وما لهم من اهتمامات تتعلق بالقيم الأخلاقية المتـصلة بعملهم وذلك من خلال وجهات نظرهم الخاصة والفريدة. وتتمثل معظـم الأديان والقارات فى العالم داخل هذه النخبة. ولقد كانت هذه المناقـشات خبرة ممتعة لهذه النخبة والتى نتج عنها صياغة هذا الكتاب.

ولا يعتبر البنك الدولى بنكا بالمعنى المعـروف، ولكنـه مؤسـسة مصرفية للتنمية لا تهدف إلى تحقيق الربح المالى ولكن تهدف إلى إزالـة وتخفيض أسباب المعاناة من الفقر. ويعد البنك الدولى مـن المؤسـسات البيروقراطية الكبيرة حيث يضم أناسا من جميع أنحاء العالم لهم خبراتهم وكفاءاتهم ومهاراتهم. هذا وبعد مـضى أكثـر مـن خمـسة وأربعـين عاما** على إنشاء وتأسيس البنك الدولى أصبح دور البنك فى التنمية أمرا

---

* عمل السيد باربر كونابل رئيسًا للبنك الدولى خلال الفتـرة مـن ١٩٨٦ إلـى ١٩٩١ ويتولى حاليا السيد ولفستون رئاسة البنك الدولى. (المترجم)

** مضى على إنشاء البنك الدولى وقت ترجمة هذا العمل أكثر من خمـسة وخمـسين عاما. (المترجم)

مركزيا ومعترفاً به كما تعاظمت مصادره وأصبح يتمتع بمصداقية لا جدال حولها. ولقد أصبحت المبادرات الجديدة والمتعلقة بالتنمية سواء كانت نشأتها من داخل أو خارج البنك نقطة جذب فى برامج البنك، وذلك لأنه يعتبر المؤسسة الوحيدة المؤهلة للتعامل مع هذه المبادرات الجديدة. هذا ويتوقع من البنك الدولى أن يستجيب ويتعامل بطريقة سليمة مع مشكلات مثل مشكلات الديون والانشغال بهموم البيئة وإعادة البناء فى المجتمعات الاشتراكية والهزات غير المتوقعة فى سوق النفط والركود العالمى وغيرها من المشكلات المماثلة التى قد تحدث فى المستقبل.

والسؤال المطروح هنا هو هل حقق البنك الدولى نجاحا فى رسالته؟ فمازال الفقر مستمرا بالإضافة إلى أخطاء الحكام، وكذلك الزيادة السكانية مازالت مستمرة بالإضافة إلى الزيادة الكبيرة فى أعداد الأميين والعوائق التى تواجهها التبادل التجارى وعدم توافر العدالة فى توزيع المصادر والثروات. وإن النجاح أو الفشل فى مجال التنمية له مكوناته الكثيرة، ولكن بدون الجهود التعاونية الكبيرة التى تبذل من جانب البنك الدولى فإن منحنى الازدياد فى مثل هذه المشكلات يتوقع أن يكون أكثر حدة.

ولا تقاس التنمية الحقيقية بالإحصاءات الاقتصادية العامة ولكن عن طريق التحسن الحقيقى فى مستوى معيشة الأفراد. وبنفس المفهوم فإنه يمكن أن يقال إن التنمية لا يمكن أن تعتبر قوة تعمل فى فراغ وليس لها

علاقة بالأفراد. فهى جهد فردى يدعمه تعاون الآخــرين ويعمــل الفهــم المتبادل والتشجيع على زيادة التفاهم بين الكفاءات وتحقيق التنسيق بــين الدوافع العالية لدى الأفراد. ومن دواعى السرور أن التنمية لا تعد من بين الأشياء التى يسهل عدم الاتفاق عليها بين الناس وخاصة فى أوقاتنا هــذه والتى تتميز بقلة حدة التوتر بين الشرق والغرب.

ويتركز هذا الكتاب حول اكتشاف ودراسة وفحــص القــيم العامــة والمشتركة بين الناس. وبالرغم من أن القيم الخاصــة بــأفراد الأســرة الواحدة تعتبر أمرا مسلما به فإن الشعوب - وخاصة تلك التى تنتمى إلى بعض الجوانب المختلفة والمتضادة فى هذا العالم - تحتاج إلــى إعــادة التأكيد من المجتمع. وإن إعطاء الالتزام مدى الحياة سواء لإجــراءات أو مؤسسة بعينها يحتاج إلى دراسة وفحص متعمق لأفكار ومشاعر الإنسان. فإنه لا يكفى أن تتوفر للإنسان وظيفة مضمونة، ولكن يجب أن يدعم ذلك الرضا عن بقية من يعمل معهم، وكذلك الرضا عن الدوافع الخاصة بــه وكذلك دوافعه تجاه عمله. فلا ترجع القوة إلى التعددية وحدها، ولكن لابد من توافر أساس من القيم والمبادئ المشتركة لتحقيقها.

ولقد قام مؤلفو هذا الكتاب بفحص ودراسة مجموعة القيم الخاصــة بهم بصورة واعية وبهدف مشترك بينهم. ولذلك فإن قراء هــذا الكتــاب سيشعرون بالثقة مرة أخرى فى مستقبل الإنسانية من خلال ما كتب فــى

هذا الكتاب، حيث إن المشتركين فى تأليفه يجمعهم نسيج أخلاقى مشترك بصرف النظر عن تلك الكلمات التى تستخدم للإشارة إلــى أصــولهم أو نشأتهم الدينية، فهذا هو معنى "الإنسانية" بوجه عام.

مقدمة

ديفيد بيكمان

يجتمع فى الساعة الثامنة من كل يوم جمعة حوالى خمسة وعشرين شخصًا، وذلك لتبادل المناقشات عن دور القيم فى عمل البنك الدولى وعن التنمية فى العالم بصفة عامة.

وعضوية هذه المجموعة مفتوحة تقريبا لجميع العاملين فى البنك الدولى سواء أكانوا ممن يعملون فى مجال السكرتارية أم على مستوى نائب رئيس البنك الدولى. وتضم هذه المجموعة رجالاً ونساء من جميع أنحاء العالم ويمثلون ديانات وعقائد وثقافات مختلفة، كما أن تكوين هذه الجماعة يختلف من أسبوع إلى آخر، ولكنها فى الأغلب تضم كاثوليكيا من الكاميرون، ويهوديا من الولايات المتحدة، وفلسطينيا، ومُبشرا بروتستانتيا من أستراليا، والعديد من الهندوس، بالإضافة إلى آخرين لا يعتنقون أيًّا من الديانات. ولما كانت مهام بعض العاملين فى البنك تتطلب السفر إلى مختلف أنحاء العالم، فقد كنا نجد فى أى يوم من أيام الجمعة والتى تجتمع فيها هذه النخبة أشخاصا قد يكونون عائدين لتوهم من الصومال أو إندونيسيا أو البرازيل.

ويعتبر البنك الدولى من أكبر المؤسسات الدولية فى العالم التى تعمل لتدعيم التنمية الدولية، حيث يقوم بالاستثمار فى المشروعات التى تشجع

على تبنى السياسات الداعية إلى التنمية الاقتصادية وتقليص الفقر فى الدول النامية، وتتفق جماعة يوم الجمعة على أن العمل فى البنك الدولى يدفعها بصفة يومية إلى الربط بين المبادئ والأخلاق والدين وبين الاستثمارات الكبيرة والسياسات الاقتصادية التى يتعامل معها البنك.

ويتناوب أفراد هذه النخبة قيادة المناقشات، وأحد أشكال المناقشات المعتادة داخل هذه المجموعة يتمثل فى أن يقوم أحد أفرادها بالتحدث باختصار عن خبراته في الحياة والقيم التى تأثر بها أو تشكل عليها، ثم ينتقل إلى الحديث عن رؤيته للتأثيرات التى أحدثتها هذه القيم فى مجال العمل فى البنك الدولى وفى مجال التنمية بصفة عامة، وينشأ عن ذلك العديد من المناقشات التى يتبادلها أفراد هذه المجموعة والتى غالبًا ما تمتد إلى الأسبوع التالى.

وتحكى سيدة من كوريا عن طفولتها التى عاشتها فى فقر حيث كانت تساعد والدتها في بيع البطاطا المشوية على جانب الطريق، وهى مازالت تتذكر العديد من قصص الحكمة الجميلة التى كانت تقصها عليها والدتها طوال هذه السنوات.

ويشير رجل آخر من ليسوتو Lesotho إلى تجربة حياته فى مجتمع مغلق، والتى عاشها فى قريته، ويبرز ما لهذه الخبرة من علاقة بعمله الحالى كأحد المسئولين فى مؤسسة بيروقراطية دولية كبيرة.

وتستعرض سيدة أخرى من الولايات المتحدة مع الآخرين خبرتها الفريدة وغير العادية فى ممارسة الصلوات والإحساس القوى بتبنى رسالة، هذا الإحساس الذى تصطحبه معها إلى عملها الآن.

كذلك يناقش مع المجموعة زائر رسمى للبنك الدولى من جمهورية الصين الشعبية اتجاهات الصين نحو التنمية والتحرر الاقتصادى والحرب النووية، كما يستعرض مع المجموعة الصراع الذى يُحيِّره بين قيمه الحديثة وتصميم والده على التقاليد القديمة فيما يتعلق بسلوك الأسرة.

فى أحيان أخرى يقوم أحد المسئولين الكبار فى البنك بالتحدث إلى المجموعة من وجهة نظر أخلاقية صريحة. ولقد قام آخر ثلاثة رؤساء للبنك الدولى وهم روبرت ماكنمارا وكلاوسون وباربر كونابل بالاجتماع مع هذه المجموعة، كما تضمنت قائمة المتحدثين إلى المجموعة من خارج البنك كلا من دوم هلدر كامار، وهو أكبر المناصرين المتمرسين لحركة التحرر من أصل العقائد والأديان liberation theology فى أمريكا اللاتينية، وأ.ت. أريراتن مؤسس الحركة البوذية للتنمية الاجتماعية التى تضم الآن ثمانية آلاف قرية فى سرى لانكا، وجوهانز وتفين المدير التنفيذى السابق لصندوق النقد الدولى كما أنه فى الوقت ذاته معلم للصوفية، وم. سكوت بيك الكاتب المتخصص فى علم النفس والروحانيات، وفريتزجوف كابرا فيلسوف الفيزياء.

ولقد ناقشت هذه المجموعة مرارًا كيف أن البنك الدولى يمكن أن يكون أكثر فاعلية فى مجال تقليص الفقر وحماية الطبيعة، كما تأملت فى الأحوال العالمية مثل حركات التحرر فى البلدان الشيوعية، كذلك قرأ أفراد المجموعة كتبًا مثل كتاب أ.ف. شوماشير الذى يحمل عنوان Guide for the Perplexed وكذلك كتاب روبرت م. برزج بعنوان Zen and the art of Motorcycle Maintenance و كتاب جوزيف كامبل بعنوان Myths to Live By، وقاموا بمناقشة هذه الكتب.

كما استمعنا بكل تقدير وفى بعض الأحيان مع الدهشة الشديدة للعديد من السير الذاتية والمعتقدات والاهتمامات المهنية، وتعلمنا من بعضنا البعض وفتحنا عقولنا لأفكار بعضنا البعض. وأصبحت المقولات العامة التى نتبناها بخصوص الثقافات والأديان الأخرى أكثر اعتدالا، واكتسبت معتقداتنا قدرًا أكبر من الوضوح عندما حاولنا أن نشرحها للآخرين الذين لا يؤمنون بها، وعدلنا رؤيتنا بخصوص القضايا السياسية والاقتصادية فى محاولاتنا للربط بينها وبين معتقداتنا الأساسية.

ولقد بدأت اجتماعات يوم الجمعة عندما اتفقت مجموعة منا على عقد لقاء دورى لمدة ستة أسابيع نتبادل خلاله الحديث بخصوص معتقداتنا المتعلقة بالعلاقة بين القيم والتنمية، ولكن هذه المناقشات استمرت لفترة تزيد عن العقد الكامل، وانضم إلينا فيها آخرون، بعضهم لمدة أسابيع قليلة والبعض الآخر لسنوات.

ولقد ساهمت أربعة أنواع من التقاليد فى تشكيل وعى المؤلفين الأربعة لهذا الكتاب: الهندوسية والمسيحية والإسلامية والإنسانية. ولكن هذه الخلفيات الدينية المختلفة وصلت بنا إلى نتائج مشتركة مؤادها أن القيم الروحية لم يستفد بها إلا بقدر ضئيل فى التنمية فى العالم وأن مصير الإنسانية ربما يكون فى خطر.

وإننا ننشر هذا الكتاب لسببين:

أولاً: نأمل أن تشجع هذه الشهادة المشتركة من معتنقى التقاليد الأربعة الآخرين على تضمين الاعتبارات الأخلاقية فى أمور الاقتصاد والسياسة.

ثانيًا: إننا نؤمن أن التطبيق العملى للأخلاق فى مجتمعنا المتعدد هذا يعتمد على حساسيتنا للمعتقدات المختلفة عن معتقداتنا، ونأمل أن يوضح هذا الكتاب مدى الاستفادة التى يحققها أفراد ينتمون إلى خلفيات مختلفة عندما يتناقشون فى مشكلات العالم فى إطار من القيم الأخلاقية والدينية.

فلقد جعلتنا هذه المناقشات أكثر وعيًا بالنقاط المشتركة بين التقاليد الدينية والأخلاقية المختلفة، حيث يعنى كل منها بالمشكلات والاحتمالات التى يواجهها العالم ككل فى هذا القرن*، ولقد اكتشفنا أن أوجه التشابه

---

* يقصد هنا القرن العشرين وهو القرن الذى نشر فيه هذا الكتاب باللغة الإنجليزية. (المترجم)

هذه تعد نقطة بداية جيدة لمناقشة القضايا الدينية والفلسفية التى ظلت معلقة لفترة طويلة ولإعادة النظر فيها.

وفيما يلى نبذة مختصرة عن كل منا. لقد لعب رامجوبال أجاراوالا دورًا كبيرًا فى إعداد عدد من تقارير البنك الدولى المهمة عن أفريقيا على مدار العقد الماضى، كان آخرها يحمل عنوان Sub-Saharan Africa: From Crisis to Sustainable Growth (1989) كما كان المسئول عن إعادة الهيكلة التنظيمية للقروض لكوريا، كما عمل من قبل فى بعثة البنك المقيمة فى بنجلاديش. ولقد حصل على الدرجة الجامعية الأولى من الهند وحصل على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة مانشستر فى إنجلترا وقام بتأليف كتاب يحمل عنوان An Economic Model for India (1970)، كما ساهم بعدة مقالات فى المجلات والدوريات المتخصصة.

أما ديفيد بيكمان فهو أحد كبار المستشارين فى البنك الدولى فى مجال المنظمات غير الحكومية، كما أنه كان المسئول عن إدارة الفريق الذى كان له الفضل فى توجيه البنك لتوسيع تعامله مع مجموعات Grassroots وغيرها من المنظمات غير الحكومية. كما عمل من قبل معدًّا لخطب مدير البنك، وقبل ذلك كان مسئولاً عن مشروعات الإسكان منخفض التكاليف وتحسين أحوال المناطق الفقيرة فى غرب أفريقيا

وأمريكا اللاتينية. وهو قس لوثرى، وقبل أن يلتحق بالبنك الدولى كان يعمل فى برنامج تنمية تدعمه الحركة اللوثرية فى بنجلاديش، ومن بين مؤلفاته:

The Overseas List: Opportunities for Living and Working in the Developing Countries (1985).

وتم انتخابه فى عام ١٩٩١رئيسًا لحركة "الخبز للعالم" Bread for the World وهى حركة المواطنين المسيحيين لمحاربة الجوع، ولذلك فإنه سيترك البنك الدولى للقيام بهذه المهمة.

أما سفن بيرميستر فيحتل وظيفة السكرتير التنفيذى للبنك والتى من بين مسئولياتها التعامل مع مجلس المديرين التنفيذيين الذى يمثل الدول الأعضاء فى البنك، كما كان من قبل مسئولا عن القروض الموجهة لقطاع التعليم فى البلدان التى تقع على شاطئ المحيط الهادى فى قارة آسيا، ومن بينها جمهورية الصين الشعبية. كما عمل أيضا رئيسا لقسم القرن الأفريقى، ومساعدا شخصيا لروبرت ماكنمارا عندما كان يشغل وظيفة رئيس البنك الدولى، ويحمل بيرميستر درجتين جامعيتين، إحداهما فى الكيمياء والأخرى فى العلاقات العامة، كما كان أستاذا مساعدا فى جامعة جورج تاون خلال الفترة من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٨، وهو يتحدث عشر لغات، كما أنه مشهور في الدانمارك ككاتب وصحفي ومعلق تلفزيوني، ويحمل أحدث كتبه الذى صدر باللغة الدانماركية عنوان USA: Land of the Middle Class.

أما إسماعيل سراج الدين* فهو يشغل وظيفة مدير القسم الفنى للمكتب الإقليمى لأفريقيا، كما كان يشغل من قبل وظيفة مدير برامج البنك فى تسع دول فى غرب أفريقيا، وذلك بعد أن كان مسئولا عن قسم مشروعات التنمية الحضرية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ورئيسا لقسم المعونة الفنية فى مقابل التكاليف للبلدان ذات الدخل المرتفع فى الشرق الأوسط، ومن أحدث كتبه

Poverty, Adjustment and Growth in Africa (World Bank 1989)

Space for freedom: The Search for Architecture excellence in Muslim Society (Butterworth 1989)

وإننا مدينون لهاريت بولدوين - وهى عضو فى مجموعة لقاءات الجمعة لفترة طويلة - لما قامت به من مساعدة كبيرة فى تحرير مقالاتنا وإعدادها لتصبح صالحة للقراءة، وما قامت به من جهود لجذب اهتمام دار النشر Seven Locks Press.

وأشير إلى أن المقالات التى يجمعها هذا الكتاب تعبر عن معتقداتنا الشخصية، وتناقش عددا من القضايا التى تنتمى إلى مجالات تتعدى

---

* تجدر الإشارة إلى أن الدكتور إسماعيل سراج الدين يحتل الآن (وقت ترجمة هذا العمل) منصب مدير مكتبة الإسكندرية، وذلك بعد أن شغل منصب نائب رئيس البنك الدولى لفترة طويلة. (المترجم)

المجالات الرسمية للبنك، ومن الواضح أن البنك غير مسئول عن الأفكار التي تم طرحها ومناقشتها في هذه المقالات، كما أنه لا يتعامل مع هذه الأفكار بالضرورة.

وإننا نبدأ كل اجتماع في كل يوم جمعة بلحظة صمت، يصلى خلالها بعضنا ويتأمل البعض الآخر، بينما يسترخى بعضنا ويتذكر أن الحياة أكثر من مجرد «الدردشة» والانغماس فى الأنشطة. ويعتبر هذا الوقت الذى يسوده الهدوء جزءًا مهما جدا من مناقشاتنا، ولذلك فإننا ندعو القارئ أن يتوقف ويشترك معنا فى لحظة من الصمت للتأمل.

بيان تناغمى: تطبيق الفلسفة الهندوسية

رامجوبال أجاراوالا

تشكلت رؤيتى للعالم أساسا من خلال أربعة مؤثرات وهى: الديانة الهندوسية والزعيم المهاتما غاندى، وعلم الاقتصاد، ومنطقة شرق آسيا.

لقد نشأت فى مناخ هندى تقليدى وتشربت الأساس الفلسفى للهندوسية الذى فهمت منه أن عناصرها الأساسية تتمثل فيما يلى:

إن الحقيقة الروحية هى أهم الحقائق الرئيسية فى الحياة، ولا يمكن للمرء أن يجربها إلا من خلال سعيه الحثيث فى طلبها. وقد أدرك العرافون الذين يجربون هذه الحقيقة أن البشر تكمن بداخلهم طاقات ربانية. والاتصال بهذه الطاقات فيه أعمق وأبقى بهجة. والأكثر من هذا أن الحقيقة الروحية واحدة لا تتغير على الرغم من الاختلاف فى وصفها، كما أن الأشخاص الذين يختلفون فى وصفها لهم من الصفات ما يجعلهم يختلفون فى طرق بحثهم عنها. وأخيرا فإن الشعور بالرضا فى الحياة يتمثل فى أداء المرء لواجبه وسعيه نحو إدراك الطاقات الربانية التى بداخلنا بحيث نعلى الصالح العام عن طريق قيامنا بأداء واجبنا كأشخاص على خير ما يرام.

ولقد عرفت غاندى فى أثناء فترة دراستى، وهو الذى ربط بين المبادئ الروحية والنضال السياسى من أجل الحرية فى الهند. فلقد بين

غاندى أنه لا حاجة لفصل الحياة الروحيـة عـن الحيـاة الـسياسية أو الاقتصادية، وأنه من الممكن أن تشكل الحقائق الروحيـة أدوات لنـضال ناجح فى هذه المجالات. وفى الوقت نفسه فإنه يجب تطويع هذه الأدوات بحيث تلائم الزمان والظروف لكى نتمكن من استخدامها بنجاح.

ويعتبر علم الاقتصاد المؤثر المهم الثالث فى حياتى، وخاصة فيمـا يتعلق برؤية آدم سميث Adam Smith لليد الخفيـة Invisible hand وقد بدا جليًا لى أن مجال الاقتصاد، وهو جانب من جوانب المجتمع، يقوم على التوافق بين مصالح الأفراد، بشرط أن تتاح للأسواق الحرة فرصـة العمل بلا عوائق من قبل المصالح الخاصة سواء من جانب الحكومـة أو المجموعات ذات المصالح الخاصة. وتعمل الأسواق الحرة كما لو كانـت يدا خفية تقوم بالكتابة. وللدولة أن تتدخل، كما قـال مـاركس، لمعالجـة مشكلات المساواة الاجتماعية أو مشكلات إدارة متطلبات الاقتصاد العـام كما قال كينز Keynes، بالإضافة إلى ذلك فقد أصبحت القضايا المتعلقـة باستنفاد الموارد والمساواة بين الأجيال من الأسس التى يقوم عليها منطق اليد الخفية، ولكن تبقى الرؤية الأساسية للتوافق كما قـدمها آدم سـميث قوية، حيث تصنع قوى السوق تناغما فى مجال الاقتصاد موازيـا لـذلك الذى فطنت إليه الهندوسية فى المجال الروحى.

وإن عملى فى منطقة شرقى آسيا وخاصة فى كوريا واليابـان هـو

:

المؤثر الرابع والأخير الذى أثر فى حياتى؛ إذ دهشت فى أثنـــاء عملـــى وترحالى فى هذه البلاد من الأهمية التى يعلقونها على التوازن والتوافق، فلا شيء فى الحياة كله خير أو كله شر. فحتى ما هو طيب من الممكـــن أن يحوله الإفراط إلى شيء مدمر. والمهم هو البحث عن التوازن الملائم للظروف، وكما يقال فى لغة الاقتصاد فإن الإنتاج الحدى من المواد الجيدة يصبح مساويا للإنتاج الحدى من المواد السيئة. ولذلك فإن النهج الـــشرق آسيوى قد يؤدى إلى إجابات أقل تحديدا على كثير من المسائل الـــسياسية والاجتماعية ولكنه يؤدى إلى صورة من التوافق الاجتمـــاعى أو التنـــاغم الاجتماعيSocial Harmony على نحو نادر.

هذا وقد أعطتني الخبرات التى سبقت الإشارة إليها مجتمعـــة رؤيـــة للحياة تجمع بين ما يلى:

١- التطبيق العملى للحقيقة الروحية بالمفهوم الهندوسى على المـــشكلات المعاصرة.

٢- الفلسفة الاقتصادية للأوروبيين.

٣- القيم الاجتماعية الخاصة بشرق آسيا.

الرحلة من الأمل فى أواسط القرن إلى الإحباط فى أواخره:

عندما كنت أدرس بجامعة كلكتا في أواسط الخمسينيات كان يـــسود هذه الفترة جو من التفاؤل إزاء المستقبل، وكانت الهند، مثلها مثل كثيـــر

من المستعمرات السابقة، قد شرعت فى برنامجها للتحديث Modernization وكان هناك حماس هائل للعلم والتكنولوجيا وخطط التنمية الاقتصادية وكذلك الديمقراطية. ولقد كان من المتوقع أن تحقق الدول النامية انطلاقها الاقتصادى وتضيق الفجوة التى تفصلها عن العالم المتقدم خلال عقود قليلة. كذلك كانت الدول المتقدمة تعيش ازدهارا اقتصاديا غذته الحرب الباردة جزئيا وساعده انفجار التطورات التكنولوجية إلى جانب الطاقة الوفيرة والرخيصة، وبدا أنه بإمكان الدول المتقدمة أن تعيش تقدما ثابتا ومضطردا يوفر الرفاهية الاجتماعية للمحتاجين بالداخل، كما تقدم المساعدة للبلدان الفقيرة فى الخارج. وبذلك تشكل فى الأفق الأمل فى تقدم غير محدود فى العلم والتكنولوجيا ورفاهية الإنسان.

غير أن الحال تغير تغيرا جذريا عبر جيل واحد، حيث إننا نرى التكنولوجيا كما لو كانت عفريتا من الجن، خرج من القمقم وأصبح لا يخضع لسيطرة الإنسان؛ ففى البلاد المتقدمة أصابت المشكلات الاقتصادية العتيدة رجال الاقتصاد بالحيرة والقلق، كما طرح المفكرون الافتراض القائل بإمكانية الوصول إلى حدود للنمو، بينما بدأ السياسيون فى تفكيك أنظمة الرفاهية الاجتماعية التى كان بناؤها وتشكيلها قد استمرا لمدة عشرات السنين، وبذلك تلاشى الأمل فى معظم الدول النامية فى اللحاق بالدول المتقدمة فى المستقبل القريب، وبدا أنه من المحتمل أن تستمر

الحرب ضد الفقر لعدة أجيال، إن لم يكن لعدة قرون، وأصبح معلوما أنه مع تزايد الآمال وانحسار الرجاء فى تحقيقها ستزداد ممارسة الفساد والقمع بين الأقوياء، ومن جهة أخرى سيزداد الإحساس باليأس والتهور والإرهاب بين المحرومين.

وإن هذا التغيير السريع والهائل فى الظروف يعتبر من مهازل القدر، وسيكون أمرا مأساويا لو انتهى هذا القرن على مثل تلك النغمة المخيفة بعد هذا التقدم الهائل فى العلم والتكنولوجيا والتطور فى مجال التحرر السياسى. والواقع أن الطاقة الإنتاجية للعالم تفوق كثيرًا ما كانت عليه من قبل، فقد انخفض عدد الذين يموتون جوعا أو عجزا عن أى قرن سابق*، ويتوقع للطفل الذى يولد اليوم أن يعيش عمرا أطول وأن تتوافر له صحة أفضل عن ذى قبل. كما حولت وسائل الاتصال المتطورة العالم إلى قرية عالمية بالفعل. وإذا عقدنا مقارنة تاريخية فإننا نجد أن هناك زيادة هائلة فى الاهتمام بثقافة الآخر والرغبة فى التعرف عليها، بل والقدرة على تقبلها والتوافق معها Tolerance ، كذلك فإن معظم الأقليات العرقية والدينية أصبح يتمتع بحماية أفضل. وفى معظم الدول أخذت أحوال المرأة – وهى نصف المجتمع – تتحسن ببطء. وعلى الرغم

---

* تجدر الإشارة هنا إلى ما يحدث (وقت ترجمة هذا العمل) فى أفريقيا من مجاعات. (المترجم)

من الاستغلال السريع للموارد الطبيعية فإن إجمالى ثروات العالم ربما يكون أعلى من أى وقت مضى، وهى التى تشكل إجمالى أدوات الإنتاج بما فى ذلك الموارد المعروفة ورأس المال البشرى والمادى. وبالرغم من وجود الخطر الدائم من نشوب حرب نووية فقد شهدت الأعوام الثلاثين الماضية عددا أقل من ضحايا الحروب مقارنة بالسنوات الثلاثين التى سبقتها* والسؤال إذن لماذا كل هذا التشاؤم ولماذا كل هذا الإحباط؟

ترجع مشكلاتنا المعاصرة إلى أزمة فى القيم أكثر من رجوعها إلى أزمة فى الطاقة أو ما شابه ذلك، فظلام اليوم يشبه ظلام ما قبل طلوع الفجر. فالإنسانية تتأهب الآن لكى تخطو خطوة عملاقة إلى الأمام فى عملية التطور، حيث يندمج علم وتكنولوجيا الحاضر مع بصيرة الماضى الروحية، وهذه الخطوة تحتاج إلى مزيد من العمل الشاق والفكر المتعمق. ومع أخذ الدافع الروحى لبنى البشر فى الاعتبار فإننى على يقين من أن مثل هذا الجهد آت لاريب، حيث إننى أعتبر أن الزمن الحالى ليس زمن غضب ويأس وخوف وإنما زمن أمل وإثارة وجهد. غير أنه ليس فى الإمكان تشكيل المستقبل على نحو سليم ما لم تتوفر لدينا رؤية واضحة لمشكلات الحاضر. ومشكلات الحقبة الحديثة تعتبر مشكلات جوهرية.

---

* تجدر الإشارة هنا إلى حرب الخليج والحرب فى أفغانستان كمثال للحروب غير النووية التى تحدث وقد تخلف عددا كبيرا من الضحايا. (المترجم)

وهى حقيقية لأنها لا ترجع إلى سوء الإدراك، كما أنها مشكلات جوهرية لأنها تنشأ من جذور أنظمة القيم الحديثة، وتعانى الدول المتقدمة من الوفرة الزائدة أو ما يمكن أن يسمى بتعاسة الاستهلاك المفرط، يتضح هذا فى حالة استهلاك الطعام، إذ يشكل الإفراط فى الأكل مشكلة خطيرة تؤدى إلى السمنة وسوء التغذية والعديد من الأمراض المزمنة فى تلك البلدان. كما يستغرق الحصول على أو اقتناء السلع المعمرة وقتا طويلا بحيث لا يتبقى وقت كاف للاستمتاع بهذه الأدوات والأجهزة، ولا تسفر الجهود التى تبذل بشدة للاستمتاع بها جميعا إلا عن استمتاع زهيد بأى منها، ولقد أدى السعى الذى لا يتوقف نحو التقدم المادى إلى فقدان متعة العمل كما أدى إلى تفكك روابط الأسرة وخاصة بين الأزواج والأبناء والوالدين، وفى الوقت نفسه فإن الملل يؤدى إلى انتشار العلاقات الجنسية غير المشروعة وتعاطى المخدرات والعنف، ولذلك فإنه – مع انعدام التوجيه الأساسى – ستؤدى هذه النزاعات إلى وقوع الفوضى، كما أنها فى النهاية ستهدد الرفاهية المادية ذاتها.

فى الوقت ذاته تعانى البلدان النامية من ويلات الفقر، إلى جانب الفشل فى تحقيق الآمال المتزايدة لشعوبها؛ فمازال الجوع ووفاة الرضع من المآسى المنتشرة فى أماكن كثيرة من العالم. كما ساهمت الزيادة فى الأعمار المتوقعة فى جعل المشكلة السكانية أكثر سوءا، وخاصة فى المناطق الحضرية، حيث يخنق الزحام الزائد احترام الإنسان وكرامته.

فبينما نجد الآن حولنا رموز التحديث منتشرة مثل السلع المعمرة كالتليفزيونات والسيارات إلا إنها ما تزال بعيدة المنال بالنسبة للفقراء، مما يؤدى إلى الإحباط والغضب ويشجع على الإرهاب والفوضى. وإن هذا الوضع يمثل لدى الطبقة المتوسطة دعوة إلى الفساد والظلم. ولذلك فإنه إذا لم يحدث تغيير أساسى وسريع فستحول هذه النزاعات بين كثير من البلدان النامية وبين قدرتها على تحقيق الاحتياجات الأساسية فى المستقبل القريب. ونحن نشير هنا بالطبع إلى الاحتياجات الأساسية ناهيك عن تحقيق المزيد من العدالة فى توزيع الثروة أو عن إقامة المؤسسات السياسية والديمقراطية.

إضافة إلى ما سبق فإن البلدان المتقدمة والنامية تشترك فى كونها تحيا فى ظل أخطار ثلاثة تأتى كلها كنتيجة مباشرة للتحديث وهى: الدمار أو الإبادة النووية، واستنزاف الموارد المتاحة، والتغييرات المناخية. فعلى عكس الحروب السابقة التى شهدها العالم فإن حروب هذه الأيام من الممكن أن تنشب فجأة وخلال عدة ساعات. وإذا حدث أن استخدمت فيها الأسلحة النووية فقد يؤدى الأمر إلى الدمار الشامل. وبالمثل وكما أوضحت الخبرة من خلال النقص المفتعل فى البترول فإن استنزاف الموارد المتاحة قد يؤدى إلى حدوث اضطراب سريع وخطير على نطاق لم يسبق له مثيل فى عالمنا من قبل. ونظرا لسرعة مثل هذه الأحداث وخطورتها، فإنه يجب توقعها مسبقا لمنع حدوثها؛ لأنه إذا حدث أن وقعت بالفعل فسوف يصبح من العسير الاستجابة إليها أو تلافيها بسبب فوات

الوقت. ولنأخذ مثلا التغيير فى ارتفاع درجة الحرارة فى العالم الآن نتيجة لانبعاث الغازات من عوادم السيارات وغيرها من الآلات الحديثة. ورغم أن ذلك يحدث ببطء إلا أنه فى النهاية يمكن أن يكون مدمرا بالنظر إلى تأثيره على مستوى سطح البحر وإحداث تغييرات مناخية. والسؤال الآن هو: هل الزيادة المستمرة فى الاستهلاك المادى تستحق المجازفة لمواجهة كل هذه المخاطر، خاصة وأن هذه الزيادة فى الاستهلاك لا تؤدى حاليا فى الدول المتقدمة إلا إلى زيادة طفيفة فى السعادة؟

وتكمن جذور هذه العلة فى العالم الجديدة فى افتراض أن الصراع هو مركز الحياة. وهذا المبدأ قدسته نظرية التطور البيولوجية Theory of Evolution ورؤية الماركسيين للتطور التاريخى والنظام العالمى الحديث للتنافس بين الأمم، ولقد ازدهرت الحضارة الأوروبية فى ظل هذا المفهوم ولكن التطورات التكنولوجية الحديثة جعلته الآن شديد الخطورة على البشرية.

والواقع أن نظرية التطور البيولوجية تتوافق مع الحقائق البيولوجية وتنسجم معها. غير أن هذه الحقائق لا تدعم بالضرورة تفسيرات بعض علماء نظرية التطور، التى حفظها الخيال الشعبى، والتى تفيد أن الطبيعة فى نزاع وحرب وصراع مع نفسها من أجل البقاء. وقد يفسر لنا هذا الرأى لماذا يؤدى التطور إلى وجود مخلوقات بيولوجية أقوى، ولكنه لا يفسر لماذا لا تؤدى هذه العملية إلى ظهور مخلوقات أعلى فكريا وروحيا.

وكذلك فإن مبدأ الحاجة إلى البقاء لم يشرح السبب فى أن الحيوان الأولى والمكون من خلية واحدة والمعروف باسم الأميبا Amoeba لم يتطور ليصبح مخلوقا أكثر تعقيدا وضعفا.

ولقد كانت لنظرية التطور القائم على الصراع تأثيرات بعيدة المدى على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث شجعت على قيام الصراعات بين الأفراد والجماعات والاستغلال الطائش لموارد الطبيعة، إلا أن حقيقة انتشار التطلع إلى السلام بين البشر الآن تدل على الحاجة إلى إعادة النظر فى هذه النظرية وإعادة دراسة تفسير التطور القائم على الصراع.

نظرية روحية للتطور:

نحتاج لكى نخرج من الأزمة الحالية إلى أهداف أكثر غنى من الفكر المادى وأدوات أفضل من النظرية العقلانية، فنحن فى حاجة إلى النظر إلى داخلنا لنحصل على الرضا والثقة والاستنارة معا.

فالعلم والتكنولوجيا آليات قوية ولكنهما فى حاجة إلى عجلات قيادة تحسن التوجيه. ويمكن للدين والقيم الروحية للبشر أن يقدما المساعدة فى صنع مثل هذه العجلات الموجهة. وإذا عاد المرء إلى الدين فعليه أن يحذر التعصب والظلم والعنف وهى أمور ترتكب باسم الدين. ولكى نتفادى هذه المخاطر فإن التبصر والقيم الروحية المستمدة من الأديان

يجب أن تتجاوز المذاهب العقلانية الكلاسيكية دون أن تتناقض مع المنطق والعلم. وبعبارة أخرى فنحن بحاجة إلى علم للروح ليكمل علم المادة.

هذا ولا يمكن لمثل هذا الاندماج بين العلم الكلاسيكي والدين الكلاسيكي أن يظهر إلا على مر السنين. ورغم أن أحدا لا يستطيع أن يتنبأ بمحددات هذا الاندماج، إلا أن الأمر يستحق دراسة النظرية الروحية للتطور. وتفترض مثل هذه النظرية أن التطور ليس عشوائيا أو بدون هدف ولكن توجهه الروح التى تشكل أساس كل شيء في الوجود. هذه الروح إلهية الإمكان وكلية القدرة والوجود حين تتحلى بالكمال، ولكنها لا تزال تكافح حتى يحدث الشعور بها. والإنسان هو أرقى أشكال هذا التجلى ولكن التطور لا يزال قصة ناقصة وغير مكتملة.

والنظرية التى تقول أن الغرض الأساسى من التطور هو تجلى القدرة الروحية الأساسية لكل المخلوقات نظرية غير علمية، نتجت عن وثبة حدث، ولا توجد طريقة مباشرة لاختبارها. غير أنها تتوافق مع حقائق العلم، ويبدو أنها تجيب عن كثير من الأسئلة المحيرة. وعلى سبيل المثال يبدو أن عملية التطور منتظمة، إلا أن الكائنات الأكثر تطورا ليست أقوى بيولوجيا، ولكن يبدو أن النموذج المتسق للنمو فى ظل نظرية التطور يتعلق بالوعى الروحى. وتدل تجاربنا الخاصة فى لحظات الحب والإبداع فى العلم والفن على وجود هذه الإمكانية الإلهية أو الوعى

الأعلى. كما يدل عليها أيضا وجود الأنبياء الذين يمثلون انفجارات للطاقة الروحية مشابهة للانفجارات النووية للطاقة المادية.

هذه الألوهية هى مجرد إمكانية فما زالت الروح تجاهد حتى تتجلى بالكامل فى حياة البشر، وليس هناك إله كامل القدرة وشامل الرحمة ليشملنا برحمته ويخلصنا من تعاستنا.* لكن الحياة ليست مجرد تعاسة، فلو كانت كذلك فلماذا لا يقتل المرء نفسه أو الآخرين؟ ولكن الحياة وسيلة تحقق من خلالها الروح تجلياتها الكاملة، وهذا هدف الحياة النبيل، ولذلك فإن قتل أى نفس يعتبر خطيئة إلا إذا كان القتل يساعد بشكل ما فى عملية التطور الشاملة.

وفى الوقت الذى يدمج الأفراد الروحية الأساسية للحياة كلها فى ذواتهم يتفتح ما بداخلهم من ينابيع الحب والجمال، مثل «أحب جارك كما تحب نفسك فأنت موجود فى عمق أعماقه». وهذا الرأى يعطى أعمق معنى لمبادئ الحرية والمساواة.

فالبشر المختلفون متساوون كتساوى أجزاء الجسم المختلفة، فالرأس والقلب مختلفان ولكنهما يتساويان فى الأهمية، ولابد أن يترك لكل عضو حرية أداء وظيفته المحددة بدون تدخل من الأعضاء الأخرى. وبذلك فإن

---

* تختلف هذه النظرة للإله فى بعض الأديان الأخرى حيث إنه مثلا فى الإسلام يوجد إله كامل القدرة ويشمل برحمته كل تعاسات الإنسان. (المترجم)

الوعى بالألوهية المشتركة يساعد فى التغلب على الإحساس بالوحدة ويقوى روابط الأسرة والجماعة.

ويؤدى اعتقادى فى التطور الروحى إلى منهج فى الحياة اسمه التناغمية Harmonism وتشمل هذه التناغمية ثلاثة مبادئ أساسية:

أولا: كلنا أجزاء من نفس الروح.

ثانيا: نشترك فى أعماقنا فى هدف يتمثل فى مساعدة مسيرة الروح على التقدم نحو الحقيقة والحب والجمال.

ثالثا: إننا نجد السعادة بقدر مساهمتنا فى العمل على تحقيق هذا الهدف المشترك.

هناك تناغم رئيسى فى المصالح بين كل الكائنات الحية فى العالم. فالصراعات بين الإنسان والطبيعة، وبين الرجل والمرأة ، وبين الأمة والأمة، وبين العمال وأصحاب رأس المال كلها أمور سطحية ومصطنعة. وليس معنى هذا التقليل من أهمية الصراع أو قوى الشر؛ فغالبا ما نكون فى صراع مع أنفسنا بسبب جهلنا ونزعتنا الشريرة، وكذلك نكون فى صراع مع الآخرين بسبب جهلنا أو جهلهم أو نزعتنا أو نزعاتهم الشريرة. لذلك يجب علينا أن نخضع صراعاتنا مع الآخرين لنفس الحب والتفاهم الذى يخضع له الصراع داخل نفوسنا. كما يجب علينا أن لا نؤله الصراع على أنه قانون الحياة فهو لا يقيم الحياة وإنما يؤدى إلى الموت.

وتوفر التناغمية أو التناسق الحل العلاجى أو الترياق المعالج لأزمة العالم الراهنة. فهى تؤدى إلى نهج قائم على الاستجابة للاحتياجات بـدلا من النهج القائم على تلبية الرغبـات. فـالنهج القـائم علـى الاسـتجابة للاحتياجات يقلل من سرعة استنزاف الموارد الطبيعية فى البلدان المتقدمة ويراجع أساليب نمو الاستهلاك والظلم فى البلدان النامية.

يمكن للعلم والتكنولوجيا بعد أن نجحا فى تأدية دورهما المطلوب أن يحققا الاحتياجات المادية للبشر. ومن المعروف أن الدخل السنوى للفـرد فى الولايات المتحدة الأمريكية يصل إلى حوالى عـشرين ألـف دولار، وربما إذا تم رفع الكفاءة فإنه لا يمكن المحافظة على مـستوى المعيـشة نفسه لأكثر من بليون شخص. ولكن إذا ما استخدم مبدأ معدل الاسـتجابة للاحتياجات فإن دخلا يقدر بألفى دولار للفرد يكون كافيا، وتستطيع موارد العالم أن تكفى حوالى عشرة بلايين شخص بهذا المستوى من الدخل إلى مالا نهاية. ويمكن للمجتمع الإنسانى أن يمضى قدما فى مهمته الخاصـة بالتنمية الروحية إذا ما تمت مراعاة الاحتياجات المادية للبشر، وسـيكون على المجتمع الإنسانى فى النهاية أن يحيـا بموجـب نهـج الاسـتجابة للاحتياجات. وبذلك يكون باستطاعتنا أن نوفر على أنفـسنا كثيـرا مـن الوقت والضياع بالإدراك الطوعى لهذا الأمر قبل أن يرغمنا على ذلـك وقوع النزاع واستنزاف الموارد على نطاق واسع.

وكما أن علم الاقتصاد يدرس الرفاهية المادية للمجتمعات فإن علـم التناغم أو التناسق يدرس الرفاهية الروحيـة للمجتمـع. ويتعامـل علـم الاقتصاد مع المقايضات Trade Offs والصفقات المتكافئة Zero Sum Games والتبادل الداخلي بين الأشخاص وبين الأجيال. وفي هذا السياق فإننى إن أعطيت شيئا فهذا يقلل مما أملكه من هذا الشيء. أى أننـى إذا استخدمت موارد اليوم فإننى أقلل مما يتبقى لى منها فى الغد. ولكن نجـد قانونا مخالفا لذلك تماما يسرى على بعض الموارد وبالتحديد مـا يتعلـق منها بالمعرفة والحب والجمال. فكلما أعطيت منها كلما زاد مـا عنـدى وكلما نهلنا منها كلما عظمت هذه الموارد. وعلى خلاف الموارد الماديـة فإن المعرفة لا يستنزفها الاستخدام بل إنها تنمو بالاستخدام، فإذا ما منحت الآخرين ما لدى من المعرفة فإن ما لدى لا ينقص بل فى الواقع يـصبح أكثر وضوحا فى ذهني، وبالمثل فليس هناك حد لكم الحب المتاح، فـإذا منحت الحب للآخرين فأنا لا أقلل ما عندى منه وإنما ببساطة أتلقى المزيد منه، وبإمكان حدود الحب أن تتسع وتتسع دون أن يخسر القـابعون فـى دوائره الداخلية. كذلك بالنسبة لموضوع الجمال فمـثلا مـشهد الغـروب الجميل أو القصيدة الجميلة أو اللوحة الجميلة يمكن أن يكـون مـصدرا لبهجة الفرد دون أن يفقد الآخرون شيئا. ولقد بلغت الحضارة الإنـسانية آفاقا جديدة بعد عصر النهضة في أوروبا حين طبقت النظرية التناغميـة على المعرفة. فحينذاك لم تبق المعرفة سرا تحتكره الأقلية وإنمـا يتـسع نطاق تطبيقها والمشاركة فيها فنمت بسرعة وتضاعفت، والأمـر يحتـاج

إلى تطبيق نظرة مماثلة على الحب والجمال. فالحضارة الإنسانية سوف تتقدم بخطى واسعة حين تركز البشرية على توسيع دائرة الحب لتشمل الآخرين من البشر والطبيعة من حولهم.

ولن يكون المجتمع القائم على التناغم مجرد مجتمع قابل للبقاء، بل سيكون أكثر من ذلك بكثير. فقد وجد فى السابق كثير من المجتمعات البدائية التى كانت قابلة للبقاء. ولكن سيوجد بدلا عن ذلك مجتمع قابل للبقاء يحده التقدم الروحى بقوة ويوفر له الإثارة التى افتقدت بشدة فى السنوات الأخيرة. فالتقدم الروحى هو الترياق المعالج للملل القابع تحت سطح كثير من علل العالم الحديث.

التناغمية والتنمية:

السؤال الذى يطرح نفسه الآن: ما الذى يمكن عمله لترجمة نموذج التناغمية إلى عمل؟ وبتحديد أكثر: ما الذى يمكننى أن أفعله لمساعدة هذه العملية؟ إن الأمر يحتاج إلى ثورة فكرية تحول النظرة للحياة القائمة على الصراع والنزاع إلى نظرة تناغمية تدعو إلى مزيد من الاهتمام بمصادر البهجة الداخلية ومزيد من التقدير للصوت الداخلى الذى يتردد فى نفوسنا جميعا. ولا يمكن تحقيق هذه الثورة الفكرية إلا عبر فترة طويلة ومن خلال محاورات العقلاء فى كل مكان. ويعد وجود اتجاه ثابت من الكتابات عن العلاقة بين العالم والروحانية أمرا مشجعا جدا وخاصة فى

الولايات المتحدة الأمريكية حيث من الممكن أن يحدث اندماج تدريجى بين العلم والدين.

ولابد لهذه التغييرات أن تستغرق وقتا طويلا إن كان لها أن تحدث. وتقضى الحاجة الملحة إلى مناقشة هذه الأمور بطريقة حرة وصريحة فى الجامعات وغيرها من الأماكن. وتعطى جماعة صباح الجمعة فى البنك الدولى مثلا لما يمكن عمله فى أماكن كثيرة. إذ إن المحاورات والمناقشات ستحدد النموذج الجديد على مر الأيام وستأتى حتما الأفعال بعد الأفكار.

ولكن من الممكن الشروع فى الفعل على الفور. فكثير من جوانب مهمة البنك الدولى تتسق مع النموذج الجديد الذى يحتاجه العالم.

أولا: فكرة الترابطية Interdependence. فالفلسفة التناغمية تركز على الترابطية بدلا من الاستقلالية. ويقول منهج البنك الدولى بأن التنمية فى صالح الجميع؛ فالنمو فى البلدان النامية يساعد على النمو فى البلدان المتقدمة والعكس بالعكس.

ثانيا: أهمية تلبية الاحتياجات الإنسانية. بدأ البنك الدولى منذ منتصف السبعينيات الانتباه إلى ضرورة أن يأخذ خطوات لتلبية الاحتياجات الأساسية لأكثر الناس فقرا فى البلدان النامية. ويتفق هذا الجهد مع الفلسفة التناغمية نظرا للإمكانية الروحية للإنسانية. وقد ساعدت على مدى سنوات عملى فى البنك على تشجيع السياسات وبرامج الاستثمار التى تساهم فى تلبية الاحتياجات الأساسية للفقراء وليس

مجرد الاستجابة لرغبات الأقلية التى تحتل القمة. ويمثل القضاء على الجوع وتقليل نسبة الوفيات بين الرضع وتعزيز الجهود المبذولة فى مجالات الصحة والتعليم والبحث والتكنولوجيا من الهموم اليومية التى تذكى حماس صاحب الرسالة عند عمله فى البنك الدولى وخاصة فى المهام التى قمت بها مؤخرا، المتعلقة ببلدان جنوب صحراء أفريقيا، حيث تتزايد وتعظم الاحتياجات الإنسانية.

ثالثا: التركيز على الواجبات أكثر من الحقوق وخاصة على المستوى القومى. فالقضية ليست قضية حقوق العالم النامى وإنما قضية واجبات الدول المتقدمة فى تقديم المساعدة وواجبات البلدان النامية فى ضمان بيئة تشجع النمو مع المساواة.

وتعتبر هذه العناصر – الترابطية وتلبية الاحتياجات الأساسية والتركيز على الواجبات – أمورًا أساسية فى الفلسفة التناغمية. ويساهم عمل البنك الدولى فى ترجمة هذا النموذج إلى برنامج عملى، ولكن الأمر يحتاج إلى المزيد من الجهود لتحديد استراتيجية تنموية مناسبة ولدفع نمو المؤسسات المالية الدولية.

استراتيجية جديدة للتنمية:

مازالت فكرة سد الفجوة الفاصلة عن البلدان المتقدمة تحظى بجاذبية سياسية كبيرة فى البلدان النامية. ولقد جعلت تكنولوجيا النقل والمواصلات

بقاء أساليب الحياة المتخلفة جذريا فى أجزاء مختلفة من العالم أمرا غيـر محتمل ولا يمكن استمراره إذا حدث. وعلى أى حال يجـب ألا تحـاول البلدان النامية تقليد أساليب الحياة القائمة حاليًا فى البلدان المتقدمة. فهـى مهما كانت غير مرضية للكثيرين فى تلك البلدان وغير قابلة للبقاء علـى نطاق عالمى. وإنما يجب على البلدان النامية أن تجعل الحركة فى الاتجاه الذى تحاول البلدان المتقدمة السير فيه وليس فى اتجاه نحو ما هـم فيـه اليوم. وعلى البلدان النامية أن تتبع إستراتيجية وقائية للتنمية. فهى علـى سبيل المثال يجب أن تتجنب نموذج البلدان المتقدمة الذى يجعـل النمـو الاقتصادى يرتكز على الاستخدام المكثف للطاقة. كما يجـب عليهـا أن تكبح نمو أنظمة الرفاهية والرعاية الاجتماعية الباهظة التكاليف والمشكلة على نمط تلك التى وجدت البلدان المتقدمة الآن وجوب تقليصها والتخلص منها. الواقع أن كل البلدان تحتاج الآن أن تتجه نحو أساليب الحياة التـى تجمع بين التقدم المادى واستخدام العقل والنهج والحس الداخلى، ويتمثـل هذا فى الأسلوب الذى يتم التركيز عليه فى آسيا؛ فإن إسـتراتيجية تـستند بقوة على كل ما قال به آدم سميث بشأن آلية السوق وما أتى به المهاتمـا غاندى من نظام للقيم تعد بالكثير. ومن الممكـن تـسميتها فلـسفة آدم- غاندى. ولقد أوضح آدم سميث قبل مائتى عام أن هناك توافقا أساسيا بين مصالح كل من يسعون إلى تحقيق مصالحهم الخاصة وأن اليـد الخفيـة للسوق تقدم لهذا التوافق أفضل مساندة. ومنذ ذلك الحين والاقتـصاديات

القومية تنمو مترابطة، وما قاله آدم سميث بشأن الأفراد داخل المجتمع يمكن أن يقال الآن عن البلدان داخل إطار الاقتصاد العالمى. وأفضل وسيلة لمساندة المصالح الاقتصادية للأمم منفصلة ومجتمعة هو آلية السوق التى تعمل بحرية مع تجارة حرة فى البضائع وعوامل الإنتاج. والأمر فى شأن الأمم مماثل له فى شأن الأفراد، إذ ربما يكون من الضرورى اللجوء لعمل إيجابى من نوع ما لتصحيح مساوئ أولية. وستساهم آلية السوق على المدى الطويل ليس فقط فى رفاهية العالم وإنما فى اقتسام عادل لموارد العالم. ويتمثل أقوى برهان على سلامة هذه الفرضية فى التحسن السريع فى مستويات المعيشة على مدى الثلاثين عاما الماضية فى البلدان التى دخلت حديثا فى عالم الصناعة، وخاصة تلك التى اتبعت سياسات تتوجه نحو التجارة.

وبينما لا يتناقض السعى إلى المصلحة الذاتية مع تعزيز المصالح العالمية فإن مهمة قوى السوق تصبح أسهل إذا كان نظام القيم السائد كابحا للإفراط فى المصالح الذاتية قصيرة الأمد. فالإفراط الرأسمالية لا يرجع إلى آليات الأسعار والأسواق وإنما إلى نظام قيم يؤله الشر والصراع. وبإمكان آلية السوق أن تعمل بفاعلية أكبر إذا وعى الأفراد حدود احتياجاتهم والرضا الذى ينتج عن مساعدة الآخرين.

هذا وبمقدور "الغاندية" أن تتحالف مع اقتصاديات السوق فى تعزيز اقتسام رفاهية العالم. فقد بشر غاندى شأنه شأن غيره من قادة العالم

الدينيين بالحب والمشاركة واجتناب الشر. وتستطيع هذه الفضائل جنبا إلى جنب مع اقتصاد السوق أن تساعد على تشجيع نموذج عالمى يتوفر فيه العدل وقابلية الاستمرار. كما أن تقييد الشر قد يساعد على تقييد سوء الاستخدام المفرط للموارد الطبيعية، أما التركيز على المشاركة فقد يساعد على تقويم المساوئ الأولية لبعض الأفراد والأمم.

إنشاء مؤسسات عالمية:

ترتبط أمم العالم الآن اقتصاديا ويقتضى الأمر تقوية المؤسسات الدولية المكلفة بمسئولية عالمية نحو التنمية الاقتصادية والتخلص من الفقر. وتعتبر المقترحات الجوهرية التى تتحدث عن نقل ضخم للموارد من الشمال إلى الجنوب مقترحات غير معقولة أو ممكنة، إلا أن المؤسسات المالية الدولية القائمة تحتاج إلى تغييرات جوهرية وأساسية.

فيجب على صندوق النقد الدولى The International Monetary Fund (IMF) أن يتطور ليصبح بنكا مركزيا دوليا حقيقيا تكون له صلاحيات إصدار العملة مما يمكنه من تلبية أفضل لمتطلبات أهدافه فى رعاية استقرار الأسعار والتجارة وأسعار تبادل العملة. وفى مثل هذا النظام ستصبح حقوق السحب الخاصة Special Drawing Rights (SDRs) وهى عملة الاحتياطى الدولى التى أصدرها صندوق النقد الدولى بالفعل، وستصبح هى العملة الوحيدة للاحتياطى والمعاملات

التجارية الدولية وستحل محل الدولار الأمريكى وغيره من العملات المستخدمة حاليا على نطاق واسع. وبعبارة أخرى فإنه يجب أن تكون هناك عملة واحدة لكل المعاملات التجارية الدولية.

وتقوم حاليا الولايات المتحدة الأمريكية على اعتبارها المصرف المركزى للعالم بالاقتراض الهائل وبدون فوائد من كل البلدان التى تبقى دولارات تحت التصرف. ولكن، وكما تبين للمملكة المتحدة فى نهاية الحرب العالمية الثانية وبعد أكثر من نصف قرن من القيام بدور المصرف المركزى للعالم، فإن ذلك يمكن أن يشوه إدارة الاقتصاد الداخلى أو المحلى، كما أنه يعد عبئا ثقيلا ومدمرا إذا ما قامت به دولة واحدة.

كذلك تحتاج الأنشطة الحالية للبنك الدولى The World Bank إلى تطوير، فالحاجة واضحة إلى مزيد من التمويل الرسمى وعمليات نقل التكنولوجيا وذلك للمساعدة فى تنمية البنية الأساسية Infrastructure العالمية وتخفيف الفقر ومواجهة مشكلات الطاقة التى طال أمدها فى العالم. ومن الممكن اختيار عدد من موارد التمويل الجديدة والمحتملة ومن بينها إمكانية تخصيص جزء من حقوق السحب الخاصة SDRs والمخصصة مركزيا لأغراض تنموية، وذلك دون أن تتكلف أى بلد شيئا. كذلك من الممكن أن يكون لوكالة التنمية صلاحية تقاضى الضرائب من أثرياء العالم مباشرة سواء الموجودون منهم فى البلاد النامية أو أولئك

الموجودون فى البلدان الصناعية. وعن طريق هذه الاعتمادات يستطيع البنك الدولى أو أية مؤسسة جديدة أخرى تكون أوسع تمثيلا وأقل تقيدا بالحكومات أن توفر أو تمنح القروض بفوائد أقل ولفترات سماح أطول لكل المشروعات التى تقوم على تخفيف الفقر أو مشروعات إمدادات المياه أو برامج التطعيم ومشروعات الإسكان منخفض التكاليف ومشروعات تنظيم الأسرة، وذلك بالنسبة لكل البلدان وليس فقط فى البلدان النامية ذات الدخل المنخفض. ويجب على هذه المؤسسة أن تجعل هذه الاعتمادات متاحة ليس فقط للحكومات بل أيضا للمنظمات غير الحكومية بما فى ذلك المنظمات الخيرية.

كما يجب أن يكون هناك توسع هائل فى برامج واستثمارات البنك الدولى الحالية فى قطاع الطاقة لتشمل موارد أخرى. هذا ومن المحتم أن العالم فى النهاية سيحتاج إلى مؤسسة دولية للمساعدة فى تطوير الموارد المعدنية وخاصة البترول وإعادة استخدامها والحفاظ عليها. ويجب أن يتم تمويل هذه الأنشطة عن طريق الاقتراض من البلدان المصدرة للنفط ذات الدخول المرتفعة، وكذلك عن طريق فرض الضرائب على أولئك الذين يعملون فى استخراج واستكشاف الموارد. هذا وفى حالة استخدام مثل هذا النظام لتنظيم تنقل الموارد دوليا فسنجد أن البلاد المتقدمة لن تكون فى حاجة إلى تقديم المعونة أو تقديم التجارة أو التنازل عن الديون للبلاد

النامية حيث ستكون المعونة الدولية من الأغنياء أينما كانوا وإلى الفقـراء حيثما وجدوا، وهو الأمر الذى سيعطى معنى أخلاقيا أكثر تحديـدا مـن المعنى المرتبط بتقديم المساعدات والمعونة على أساس الانخفـاض فـى معدلات الدخل. كما أنه فى إطار هذه العملية ستستطيع المنظمات غيـر الحكومية أن تقوم بدور أكثر أهمية من الدور الذى تقوم به الحكومات.

تعتبر هذه الأفكار أفكارا مثالية وخيالية، كما قد تبـدو بعيـدة عـن حقائق الواقع الجافة فى العالم. ولكن على أى الأحوال فنحن فى مرحلـة من التاريخ أصبحت لا تكفى فيها التعديلات الهامشية التى طالما تمـسكنا بها، فنحن فى حاجة إلى فتح آفاق جديدة للرؤية وللفكر المثالى. وأعتقـد أن التقدم فى هذا المجال سيتحقق مهما كانت ظروف الحاضر كئيبـة أو خطيرة وذلك بسبب الطيبة الإنسانية الأصيلة. وإذا ما اشـتملت عمليـة التطوير حقا على تنمية بيولوجية وروحية فإن هـذه الطيبـة الإنـسانية ستكشف عن نفسها فى الوقت المناسب. والتحدى القائم أمامنا الآن هو أن نساعد على حدوث ذلك فى أقرب وقت وبدون تأخير.

إن مناقشات مثل تلك التى تدور صباح كل جمعة فى البنك الـدولى بين المهتمين من الخبراء والساسة والمواطنين يمكنها أن تعجل بحـدوث هذه العمليات، وفى الوقت نفسه تساعد على تجنب الإنسانية للانعطافـات غير المثمرة.

آفاق مظلمة وآمال مضيئة

ديفيد بيكمان

تكونت شخصيتى منذ الطفولة فى إطار العقيدة المسيحية لحب الله، وكان أبواى يتمتعان بطاقة حب غير عادية، وأدركت دائما أن الرب هو المنبع الذى يستقيان منه هذا الحب، وكنا ننتمى إلى إيراشية الطائفة اللوثرية Parochial Lutheran ونعيش فى إحدى المدن الهادئة فى ولاية نبراسكا Nebraska. ولكن أبوَىَّ كانا منفتحين على أفكار جديدة وعالم أوسع. ولقد ظلت العقيدة المسيحية – التى تعلمتها فى طفولتى التى تفيد بأن البركة الإلهية تجلت في شخص يسوع المسيح Jesus Christ– نبعا دائما وعميقا لمتعتى فى الحياة. وظلت هذه المتعة تظلل حياتى العائلية الدافئة والمتينة مع زوجتى وأبنائى حتى الآن.

ولقد التحقت بالجامعة خلال فترة حرب فيتنام وظهور حركة القوة السوداء Black Power Movement. هذا وقد زاد عمق إحساسى، شأنى شأن عدد كبير من الطلبة بالظلم الاجتماعى داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك فى علاقتنا مع الدول النامية. وبعد التخرج سافرت إلى آسيا، وعشت فترة فى أفريقيا، ثم قضيت بعد ذلك عاما عشته فى ولاية نبراسكا وحاولت فيه أن أصنع الثورة من خلال ممارستى للتدريس، حيث ألقيت محاضرات عن القضايا السياسية الجارية، كما ساعدت على

التقريب بين طلاب الجامعات المحلية وزعماء الاتحادات العمالية. ولكن نظرا لأن التغيرات الاجتماعية كانت أعمق من التربية السياسية والتنظيم فقد قررت أن أدخل كلية اللاهوت Seminary.

بعد التخرج من كلية اللاهوت طلبت من الكنيسة أن أصبح مبشّرا اقتصاديا Misionary Economist لكي أساعد على الربط بين العقيدة المسيحية والقضايا الاقتصادية وخاصة فيما يتعلق بقضية الفقر فى العالم الثالث.

هذا ولقد تعلمت من الدراسات العليا فى الاقتصاد التعقيدات المتعددة التى تصادفنا حين نحاول تطويع نظريات العرض والطلب للحصول على النتائج المرغوبة أخلاقيا، إضافة إلى ذلك فقد علمتنى خبرة العمل والتى بدأتها بمهمة فى بلدة فى شمال غرب بنجلاديش تسمى Stint المزيد من الاحترام لتعقيدات المشكلات الاجتماعية.

وبعد عدة سنوات من عودتى إلى البنك الدولى بدأ مؤلفو هذا الكتاب نشاط اجتماعات جماعة صباح الجمعة Friday Morning Group وأصبحت هذه الجماعة ذات تأثير كبير فى حياتى وعلمتنى المناقشات فيها إلى أى حد يجب أن أتعلم من البصيرة والخبرة الدينية للآخرين. ولازلت على يقين من أن المسيح هو كلمة الله المحددة إلى هذا العالم، ولكننى كنت أتخيل أن هذا كان يعنى بشكل ما أن على أن أكون صاحب الكلمة الأخيرة

فى كل المناقشات الدينية ولكن بالتدريج تعلمت كيف أقدر وأحتـرم مـا يمكن لأصحاب العقائد الدينية الأخرى أن يعلموه لى. فقد مكنتنى جماعـة صباح الجمعة من اكتساب نظرة أوسع وأكثر فهما للمسائل الدولية.

ويناقش مقالى هذا مسألة البرهان على أن بقـاء حـضارة العـالم الراهنة، بل وربما بقاء الإنسانية نفسها يعتمد علـى تـشكيل وصـياغة تاريخنا الذى يتفتح أمام أعيننا فى نموذج أخلاقى إلى درجة تفوق ما هـو عليه الحال الآن. وأعتمد فى هذا على الرجوع إلى النصوص الخاصـة بأنبياء العهد القديم فى التوراة Old Testament Prophets للمـساعدة على فهم الخطر المحدق بنا. فالحوار مع أصحاب الديانات الأخرى أمر ضرورى لإدراك شمول مبادئ الأخلاق، وكذلك الرجوع إلـى العقيـدة المسيحية ذاتها لنستمد منها الدافع والأمل.

الحاجة إلى التغيير:

تتعرض الحضارة الإنسانية اليوم إلى أخطار تحيط بها مـن عـدة جبهات، ومع ذلك فنحن لا نستطيع توجيه الجهود الكافية لمواجهـة تلـك الأخطار، ولعل أوضح خطر هو الحرب النووية التى تهدد بنسف قـدرة كوكب الأرض على الحفاظ على الحياة البشرية. ولقد أعطتنا التحركات الدرامية فى العالم الشيوعى فى اتجاه الإصلاح فرصة تاريخيـة لتقليـل مخاطر الحرب النووية، فعلى مدى أربعين عاما شكلت المواجهـة بـين

الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية خطر نشوب الحرب النووية فى العالم. حيث نجد على أحد جوانب ميزان القوى العظمى الاتحاد السوفيتى* بقوته الديكتاتورية ونزعته العسكرية وانعزاله النسبى، وعلى الجانب الآخر نجد الولايات المتحدة الأمريكية وتصعيدها فى الثمانينيات لسباق التسلح وتدعيمها للحرب الباردة.

ومازال هناك بالطبع مصادر كثيرة للنزاع فى العالم، إذ يتزايد عدد الدول التى تمتلك الأسلحة النووية ويبدو أنه لن يمر وقت طويل قبل أن يتمكن الإرهابيون من الحصول عليها أيضا. ولقد أتاحت عملية الإصلاح فى البلاد الشيوعية إمكانيات جديدة لاحتمالات استخدام العنف بين الجماعات العرقية بسبب الاختلاف حول مسار وطرق الإصلاح. إلا أنه مهما ثبت من تعثر واضطراب فى حركة الإصلاح فقد قضت على الأساس الأيديولوجى للحرب الباردة. ولقد أحرزت القوتان العظميان تقدما كبيرا فى التفاوض حول تخفيض التسليح، ويتعاونان الآن للتحكم أو العمل على تهدئة نزاعات قومية وإقليمية.

ويجب علينا أن نتابع تلك الاحتمالات بعزم أشد، فعندما غزت العراق الكويت عام ١٩٩٠ تحركت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية

---

* تجدر الإشارة هنا إلى أهمية التطورات الأخيرة فى الاتحاد السوفيتى وما حدث له من تفكك وانهيار بعد استقلال الدول المكونة له. (المترجم)

بسرعة وكتلت الجهود الدولية لتحشد القوات العسكرية فى السعودية لتكبح جماح العراق.

ولقد كانت هذه الاستجابة السريعة لخطر الحرب ضرورية، ولكن لماذا لم تتحرك الولايات المتحدة الأمريكية بنفس الحماس لتغتنم فرص ما بعد الحرب الباردة من أجل السلام؟ لقد كان من الممكن إحراز تقدم أكبر فى مفاوضات نزع السلاح لو تم بذل مجهود أقوى، كما كان من الممكن المساعدة على إقرار السلام فى السلفادور وكمبوديا والقرن الإفريقى لوتم بذل مجهود أقوى. وربما كان بالإمكان أيضا المساعدة فى مواجهة مشكلات قائمة من زمن طويل مثل المشكلة الفلسطينية والتى تجعل أى نزاع فى الشرق الأوسط أكثر تفجرا.

وتبلغ قيمة الإنفاق العسكرى على نطاق العالم كله ألف بليون دولار فى العام* وهذا الإنفاق يزيد بكثير عن مجموع الدخل فى الدول النامية ذات الدخل المنخفض، والتى تمثل فى مجموعها نصف تعداد سكان العالم. وبالرغم من ذلك انغمس العالم فى حرب ضيعت أرواحا كثيرة وتكلفت ما يقرب من بليون دولار فى اليوم الواحد.

ويعيش فى العالم الآن ما يزيد على بليون نسمة على دخل يوازى أقل من دولار واحد فى اليوم للفرد الواحد. وبالطبع فإن أصحاب مثل هذا

* هذه التقديرات تزيد مع مرور الوقت منذ كتابة هذا المقال. (المترجم)

الدخل لا يستطيعون عادة الحصول على ما يكفيهم من الطعام ليعيشوا حياة نشطة أو كاملة الإنتاجية. وبالمثل ترتفع نسبة الوفيات بين الرضع والأطفال بسبب سوء التغذية وضعف الرعاية الطبية وتلوث مياه الشرب. وإن استمرار الفقر والجوع على هذا النطاق الواسع يشكل، بعد خطر الحرب النووية، ثانى أخطر تحدٍّ أخلاقى يواجه جيلنا.

فيزيد الفقر الشامل من مخاطر الحرب العالمية، لأن الفقر يستثير العنف خاصة عندما يزداد الفقراء فقرا. وتبين الحالة فى كل من إيران وأمريكا الوسطى كيف أن النمو غير المتساوى وما يتبعه من تضخم وكساد يمكن أن يمهد الطريق للعنف السياسى، كما أنه يزيد من إمكانية حدوث المواجهة بين القوى العظمى. فيرجع غزو العراق للكويت جزئيا إلى انعدام المساواة الإقليمية والإحباطات الاقتصادية. وإن إمكانية التقدم الاجتماعى والاقتصادى على نطاق واسع فى الدول النامية أمر واضح وجلى حيث تضاعف متوسط الدخل فى الدول النامية ما بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٨٠. وحققت بعض الدول النامية التى أدخلت الصناعة حديثا وصدرت البترول دخلا ونموا اقتصاديا لم يسبق له مثيل فى التاريخ البشرى، وحتى فى الدول النامية ذات الدخل المنخفض ارتفع متوسط الدخل بمقدار ٥٠% وزادت نسبة البالغين الذين يستطيعون القراءة من ٢٠% فى عام ١٩٥٠ إلى ٥٠% فى عام ١٩٨٠. كما قفز المدى العمرى

للفرد Life expectancy من ٣٥ سنة إلى ٥٠ سنة. والأسباب وراء هذه الإنجازات تتمثل فى الجهود المركزة التى بذلت فى البلاد النامية وأيضا إلى المساعدات التى قدمتها الدول الصناعية عن طريق تقليل العوائق أمام الواردات وزيادة المعونات الخارجية. وكان عقد الثمانينيات فترة صعبة بالنسبة لمعظم الدول النامية؛ وذلك لأن بعض المكاسب الاجتماعية التى تحققت بشق الأنفس فى العقود السالفة قد تم التراجع عنها، وأدى الركود العالمى وأزمة الديون فى عام ١٩٨٢ إلى إيقاف عجلة التقدم الاقتصادى. إلا أن الأزمة الاقتصادية كان لها جانب إيجابى واحد فقط، يتمثل فى فقدان الكثير من النظم الاستبدادية والتسلطية Authoritarian regimes مصداقيتها، مما أدى إلى ظهور بعض الاتجاهات نحو الديمقراطية بين دول العالم النامى. واستطاعت دول كثيرة من آسيا أن تستعيد صحتها الاقتصادية Economic recovery بسرعة وعادت الآن إلى النمو السريع. ولكن آفاق التقدم الاقتصادى فى أمريكا اللاتينية وفى إفريقيا جنوب الصحراء لازالت ضعيفة. كما يقوم الآن عدد من البلدان النامية بدفع فوائد للديون تزيد على ما يتلقونه من الاستثمارات أوالمعونات الجديدة. كما أن منتجات كثير من الدول النامية تباع بأسعار بخسة، بالإضافة إلى أن الدول النامية تواجه بقوانين الحماية الجمركية المتزايدة فى البلاد الصناعية. وفى ظل هذه الظروف لا عجب أن نرى كثيرا من

الدول النامية فى أزمة، ولكن يزداد العجب إذا عرفنا أن قلة قليلـــة فـــى البلاد الصناعية هى التى تهتم بالفقر الموجود بعيدا عنها، وتلح هذه القلة على حكوماتها فى أن تتبنى أو تتخذ سياسات تجارية أو مالية لمـساعدة البلدان النامية والواقعة تحت ضغط الحاجة. كذلك تتزايد أحوال الفقر فى داخل الولايات المتحدة الأمريكية حيث نجد الآن شخصا واحدا من بـــين كل سبعة من الأمريكيين يعيش تحت مستوى خـــط الفقـــر Below the poverty line وتبلغ هذه النسبة أقصاها بين السود والأســبان لتغطـــى واحدا من كل ثلاثة أفراد من هذه الفئات. كما أن حـــالات الفقـــر بـــين الأطفال تزداد، مع العلم بأن المصادر المتاحة لبـــرامج تغذيـــة الأطفـــال وتعليمهم تتناقص بشكل حاد، كما أن مشكلة التشرد تعتبر فـضيحة فـــى الولايات المتحدة الأمريكية.

وأدت المصاعب الاقتصادية العالمية فى السبعينيات والثمانينيات إلى اتخاذ قرارات صعبة فيما يتعلق بالسياسة العامـــة Public Policy . وكان الاختيار فى الولايات المتحدة يتجه إلى طريق مواجهـــة التـــضخم Inflation وتخفيض الضرائب وفى الوقت ذاته تقوية الجيش، وذلك على حساب الركود والكساد الطويل الأمد والازدياد فى سعر الفائدة وتحميـــل الديون للجيل القادم من الأطفال وتقليل الإنفاق على الفقراء. وبذلك أصبح الجميع على استعداد لتحمل العقبات المتعلقة بارتفاع نسبة البطالة العالمية وازدياد الفقر محليا ودوليا. وتعد مشكلات البيئة ثالثة المخاطر التى تهدد

الحضارة الإنسانية. فالقوة التكنولوجية أصبحت تسبق قدرة الطبيعة على تجديد نفسها، ونرى ذلك بشكل متكرر على المستويين المحلي والقومي، ويتمثل ذلك في هواء مدننا الملوث أو في بقع الزيت التي تملأ شواطئنا*.

وتعد الدلائل الواضحة على زيادة ثقل العبء الملقى على كاهل كوكبنا الأرض أقوى نذير، حيث يوجد الآن اتفاق عالمى على أن مختلف الكيماويات التى تخلفها الحضارة الصناعية تعتبر مدمرة لجو كوكب الأرض. وقد أدت الكلوروفلورو كربونات Chlorofluorocarbons (CFCs) – وهى عائلة من المواد الكيمائية تدخل فى العمليات الصناعية– إلى إحداث ثقوب فى طبقة الأوزون Ozone وهى الطبقة التى تحمينا من أشعة الشمس المهلكة. كما يحدث أيضا تجمع للعديد من المواد الكيمائية وعلى رأسها ثانى أكسيد الكربون Carbon Dioxide الناشئ عن الاحتراق والذى يؤدى إلى احتباس أشعة الشمس فى الجو، الأمر الذى سيؤدى إلى ارتفاع درجة الحرارة على نطاق العالم أجمع، كما ينتج عنه تغيرات لا يمكن التنبؤ بها فى الطقس، وربما فيضانات فى

---

* تجدر الإشارة هنا إلى مشكلة التلوث فى الجو بصفة عامة فى العالم ومشكلة بقع الزيت وما لها من آثار بصفة خاصة، مع الإشارة إلى ما حدث فى الولايات المتحدة بسبب Exon أو إلى ما حدث فى حرب الخليج من تسرب للبترول أمام شواطئ الكويت والسعودية. (المترجم)

المناطق الساحلية والتى يتسبب فيها الارتفاع فى درجة حرارة المحيطات ارتفاعا تدريجيا وتمدد هذه المحيطات. وبالإضافة إلى ما تقدم فإن سرعة النمو السكانى بين الفقراء تستهلك قدرة الطبيعة فى بعض البلاد النامية. فالفقراء الذين يبحثون لهم عن أرض يهاجرون إلى البقية الباقية من الغابات الاستوائية أو المناطق التى تقع على أطرافها. وتؤدى محاولاتهم لزراعة تلك المساحات إلى تدمير الغابات وبالتالى تحويلها إلى صحارى، وهم بذلك يقوضون الأساس الذى يمدهم بالحياة. فنحن نفقد وفقا لأحد التقديرات ربع التنوع الحيوى فى الأرض Biodiversity خلال جيل إنسانى واحد وذلك يرجع فى أغلبه إلى فقدان الغابات الاستوائية Tropical Forests.

وتعتمد حماية البيئة فى البلدان النامية اعتمادا كبيرا على الإبطاء فى النمو السكانى وهذا يعتمد بدوره جزئيا على تحسين الرعاية الاجتماعية. فتوسيع فرص التعليم أمام الإناث وتخفيض نسبة الوفيات بين الرضع أمور لها دور كبير فى تقليل النمو السكانى. إلا أن الضغوط المالية الحالية تقيد الإنفاق على التعليم وتنظيم الأسرة وحماية البيئة.

إن القضية الأساسية المتعلقة بالبيئة التى تواجه البلدان الصناعية تتمثل فى السؤال التالى: هل نحن مستعدون لتخفيض استهلاكنا بدءا من اليوم لنصون مواردنا للمستقبل؟. نحن لا نعلم ما ستتكلفه معالجة تحديات

مثل الارتفاع فى حرارة الكون، ولكن خبرتنا فى حالة ارتفـاع أسـعار البترول تدل على أن الحفاظ على الموارد يجب ألا يقف عائقا فى وجـه النمو الاقتصادى.

فقد أدى ارتفاع أسعار البترول فى السبعينيات إلى توجه جانب كبير من الاستثمارات إلى مجال حفظ الطاقة. وقد كانت هذه الاستثمارات مكلفة ولكنها سمحت باستمرار النمو الاقتصادى وفقا لنمط أقل استهلاكا للطاقة. ومازلنا نستطيع خلال الجيل التالى أن نبتعد عن استهلاك الموارد غيـر المتجددة دون أن نضع نهاية للابتكارات والكفاءات التى أدت فى الماضى إلى زيادات تدريجية وواسعة النطاق فى الرفاهية الاقتصادية.

ويرى البعض، ومنهم رامجوبال أجاراوالا وسفن بير ميستر فى هذا الكتاب، أنه يمكن لمعظم الناس فى البلاد الصناعية أن يعيش فى مستوى أفضل بمستويات دخل أقل. ولكننى لا أوافق على ذلك؛ فزيادة الدخل، مع الحكمة في إنفاقه، ستؤدى على سبيل المثال إلى تحسين التعليم الذى نقدمه لأبنائنا، أو يعمل على تخفيف القيود المالية المفروضة على توفير الرعاية للمسنين. إلا أن الكثير من الرخاء الاقتصادى والذى تحقق منـذ نهايـة الحرب العالمية الثانية تم إنفاقه بطريقة جنونية وذاتية التدمير. فالحضارة المادية تشجعنا على السعى إلى السعادة والإحساس بقيمتنا عـن طريـق الامتلاك والإنفاق، ولكن الملايين الذين خدعتهم تلـك الآمـال الزائفـة يحسون بالإحباط فى حياتهم.

وفى الوقت نفسه فإن المادية الشديدة تستهلك قدرا كبيرا من الطاقة الإنسانية والموارد المادية التى يمكن توجيهها إلى حل المشكلات التى تهدد عالمنا. فالأفراد والدول عظيمة الثراء بالمعايير التاريخية والدولية تحس أنها لا تستطيع أن تنفق مزيدا من الوقت أو المال لتقليل الفقر، فبينما تحترق روما نلهو نحن بأجهزة الفيديو.

إن المشكلات التى تهدد بقاء الحياة الإنسانية هى مشكلات عالمية، ولكن هذا لا يعنى أنها بعيدة عنا. فمن خلال التليفزيون يستطيع ضحايا المجاعات فى أفريقيا والطلبة المتظاهرون فى الصين أن يخاطبوا الناس مباشرة فى ولايتى مونتانا والمسيسبى Montana & Mississipi. كما أن ما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية سواء أكان تغييرا فى سعر الفائدة أم تحولات فى الرأى العام يؤثر عادة فى العالم كله.

إن مشكلات العالم معقدة وخلافية، إلا أن هذا التعقيد يجب ألا يخفى جوانبه الأخلاقية، فالورطة التى يعيشها كوكبنا لا تدور أساسا حول تعقد مشكلاتنا، وإنما هى بالأحرى تتمثل فى أنه لا توجد لدينا الدوافع الأخلاقية الكافية لمعالجة المشكلات التى تهدد العالم بكل قوانا، أو لاقتناص الفرص الواعية لمعالجتها. إن كسلنا المعنوى ينشأ من مشكلات فى أعمق أعماق حياتنا.

المصادر البيئية للتغيير:

تحذيرات الأنبياء:

لا يحتاج الأمر لنبى ليقول لنا إن الرفاهية والرخاء يعتمدان فى معظم الأحوال على الأفعال الأخلاقية القومية. ولقد أكد أنبياء العهد القديم ذلك، وأوضحوا التحديات التى يواجهها البشر، كما علمونا أن الله هو مصدر كافة البركات. وقالوا إنه لا القوة العسكرية ولا القدرة الاقتصادية استطاعت أن تضمن أمن ورخاء بنى إسرائيل، وإنه على الملوك أن يقودوا شعوبهم فى طريق العبادة والتقوى بما فى ذلك الجوانب المتعلقة بالعدالة الاجتماعية. وعلى شعب بنى إسرائيل ويهوذا أن يميزوا ويتبعوا ما كان الرب يفعله فى زمانهم ويثقوا فى أنه سيمنحهم دائما بركاته ورعايته.

وكما جاء فى أناجيل Deuteronomy فإن مملكة إسرائيل ويهوذا كانتا عادة تتجاهلان هذه النصيحة، وتميز تاريخهم بوجود هوة كبيرة بين الفقراء والأغنياء، وكذلك بالانقلابات والانقلابات المضادة بين المطالبين بالعرش. وإذ أنهك الصراع الداخلى قواهم عانوا تدريجيا من إخضاع القوى الأجنبية لهم.

لقد فقدت هاتان المملكتان الشرعية والأخلاق التى كانتا تحتاجان إليها لاكتساب الولاء الداخلى. وهذا الفقدان للأخلاق هو جزء مما قصده الرسل بقولهم إن الله كان يحاسب إسرائيل ويهوذا على خطاياهم. ويعتقد الأنبياء

أن الرب يؤدى دورا فعالا فى التاريخ وأن كلمته وحـــدها كافيـــة لـــدك العروش وإحياء الآمال. وعلى سبيل المثـــال فقـــد أدان النبـــى آمـــوس Prophet Amos الصفوة الإسرائيلية بعنف وقال إنهم يبيعون "الفقير من أجل قطعة فضة والمعوز من أجل زوج أحذية"، وإن الله سيدمر إسرائيل على يد جنود أمة معادية، وقال كاهن المعبد الملكى للملـــك "إن آمـــوش يتآمر ضدك فى إسرائيل وإن البلد لا تستطيع احتمال ما يقوله".

وأخشى أن نفس النمط من القيادات العاملة لمـــصلحتها يتكـــرر فـــى زماننا بما فيه من صراع وتحطيم للمعنويات. فأمم اليوم الغنيـــة والقويـــة تخلق سخطا عالميا عندما تهمل المشاكل الكونية. كما أنها تـــضعف مـــن قدرتها على جعل نموذج التضحية ملهمة لمواطنيهـــا، وبالتـــالى تتعـــرض لخطر الانقسام الداخلى. فهكذا تحللت فى الزمن القديم إسرائيل ويهوذا مـــن داخلهما. ولكن الأمر الذى نخاطر به اليوم لم يعد مصير أمة واحدة حيـــث إن أمم العالم اليوم مرتبطة ببعضها بدرجة لم يسبق لها مثيـــل. فـــنحن لا نخاطر اليوم بهدم المدن أو تدمير أمة، وإنما بإبادة مناطق شاسعة بأكملها، بل وقد تشمل الإبادة الكائنات الحية كافة على سطح الأرض. ولقد أصـــبح الكثيرون فى الدول الصناعية والديمقراطية متـــشككين فـــى المؤســـسات العامة، كما فقدوا إيمانهم بأن دولهم تعضد الخير فى العالم. إن أعظم خطر يهدد الأمن القومى لهذه الدول هو إصابة مواطنيها بخيبة الأمل. والأخطـــر

من ذلك هو عمق عدم الاستقرار فى البلاد التــى كانــت تخــضع للحكــم الشيوعى حيث انقلبت الشعوب ضد عقود من الظلم والخداع الرسمى.

ولقد جربت بلدان العالم الشيوعى بذل الجهود لإحياء ما عفى عليــه الزمن من قومية وأيديولوجيــةNationalism Ideology إلا أن هــذه الشعارات تعتبر مصادر إلهام هشة وضيقة وخطيرة. ولذلك فالأمر يحتاج بدلا من ذلك إلى جهد مستمر من جانب البلدان القوية والغنية نسبيا فــى كل من الشرق والغرب لجعل العالم أكثر تمسكا بالأخلاق. وإذا كان نظام العالم World order مرنا ويخدم الإنسانية أو على الأقل يتطــور فــى اتجاهات إيجابية فسوف يلهم الناس بالولاء وبالتضحية اللازمين. ولسوف تدعم ذلك الولاءات القومية داخل الأمم التى تقود العالم فى اتساق مع القيم الإنسانية الأساسية وكذلك الإحساس بالمسئولية تجاه البشر فى كل مكان.

إن العقوبة الإلهية نفسها التى تكشفت فى التاريخ القــديم لإســرائيل ويهوذا تحلق اليوم فوق الحضارة الكونية. ويعلمنا الكتاب المقدس Bible "أن الله صبور وأنه ليس مستعدا لاحتمال انعدام الأخلاق فــى صــناعة التاريخ إلى الأبد".

عالمية الأخلاق:

فى المجتمعات التعددية الحديثة كثيرا ما يكتم الناس فى صــدورهم الكلام عن الدين والأخلاق فيما يتعلق بالسياسة العامة Public Policy.

ولقد نشأت التقاليد العلمانية (الدنيوية) Secualr فى تلك المجتمعات كرد فعل للصراعات الدينية المريرة التى حدثت فى الماضى. وأصبحت المؤسسات الاقتصادية والسياسية منفصلة عن الأيديولوجية والمؤسسات الدينية. وفى إطار المؤسسات العلمانية يتوقع من الناس أن يحترموا تعددية العقائد وأن يلتزموا الصمت إزاء الخلافات الدينية، وذلك يسهل على من تختلف عقائدهم أن يعيشوا ويعملوا معا.

إلا إن عادة الصمت إزاء أهم ما فى الحياة تؤدى أيضا إلى مشكلات. فنجد الشئون الاقتصادية والسياسية تدار فى استقلال عن المبادئ الأخلاقية، مع نفى الدين إلى واحة الدلالة الخاصة Oases of private meaning. ولذلك فقد أصبح من المهم التعرف على درجة اشتراك الناس من مختلف الديانات والثقافات فى بعض القيم. وإن درجة شيوع بعض القيم فى أرجاء الكون توفر أساسا لحوار حضارى مطعم بالأخلاق لمناقشة المسائل العامة. فالناس فى كل مكان يتفقون على القيم التقليدية كالأمانة والاهتمام بالآخرين، وتفسر الثقافات المختلفة هذه القيم تفسيرات مختلفة ولكن الجميع يتفقون على أنها أساسيات للسلوك السليم.

وبالإضافة إلى ذلك تشترك شعوب العالم اليوم فى بعض المثل الاجتماعية الحديثة. مثل التقدم والعقلانية Rationality. ولقد صيغت مثل هذه القيم بوضوح لأول مرة زمن الثورة الصناعية وعصر التنوير

Industrial Revolution & the Enlightenment. ولقد انتشرت فى أرجاء العالم مع انتشار الإدراك بأنه قد أصبح من الممكن تحسين الحياة فى هذا العالم بواسطة التقدم التكنولوجى وإعادة ترتيب النظم الاجتماعية ترتيبا مقصودا. هذا وما إن أدرك الإنسان مثلا أنه يمكن التغلب على الفقر حتى تحول الاهتمام التقليدى بالآخرين إلى تشجيع المناداة بالتنمية والإصلاح الاجتماعى. وهذا هو السبب فى أن الهندوسية والبوذية والمسيحية والإسلام قد أدمجت تلك المثل العليا الحديثة فى تعاليمها الأخلاقية المعاصرة. ولقد جعلتنا فظائع القرن أقل ثقة فى تلك المثل الاجتماعية العليا الحديثة. فكلمات مثل التقدم والعقلانية تنطوى عند الكثيرين على التفاؤل المرتكز على الذات الذى ساد أوروبا وأمريكا الشمالية في القرن التاسع عشر. وبالرغم من ذلك فإن هذه المثل العليا فى أشكال معدلة انغرست فى الثقافة المعاصرة وعلى نطاق العالم كله. ولم تجسر حتى الحركات المعادية للثقافة فى البلاد الصناعية ولا الحركات الحاقدة والمعادية للغرب فى إيران مثلا على رفض فكرة الحداثة Modernity كلية. وفى الواقع الآن نجد أن العالم يتمتع بقدر معقول من التساند Constitution الأخلاقى وهو مصطلح تعنى أصوله اللاتينية الوقوف معا مما يسمح لنا بمناقشة علمانية للمسائل العامة. وفى البنك الدولى تعمل جماعات من الناس ممن ينتمون إلى أمم مختلفة جنبا إلى جنب، بحيث نجد أنه ليس من الصعب إجراء المناقشات للأخذ بنهج دون

آخر، وذلك باللجوء إلى القيم الأخلاقية التى تعتبر مشتركة بين الجميع تقريبا. ويؤكد الخط الرئيسى للاهوت المسيحى Christian Theology أن المعايير الأخلاقية الأساسية التى يوضحها الإنجيل (ببلاغة فائقة فى الوصايا العشر) لا تنفرد بها التعاليم الإنجيلية. وكذلك تقول التعاليم الكاثوليكية Roman Catholocism إن معظم الأخلاق هى "قوانين طبيعية" بنيت عليها شخصية المجتمع الإنسانى. والأمر بالمثل فى حالة التعاليم اللوثرية Lutheran Tradition التى أنتمى إليها، فتقول إن الرب يكشف عن جزء من ذاته. وهو ما يسميه مارتن لوثر اليد اليسرى للرب فى قوانين الطبيعة والمجتمع الإنسانى. ويعتبر لوثر أن يد الرب تعمل عندما تؤدى السرقة إلى السجن أو يؤدى الظلم الاجتماعى إلى العنف. وليس من الضرورى أن تؤمن بالمسيح لتعرف الفرق بين الخطأ والصواب أو لتصدق بما يقوله العهد القديم عن الاختيار الأخلاقى والحساب. هذا وإذا كان لدى المسيحيين معايير أخلاقية متميزة وخاصة بهم، فإن الجهود التى تبذل لتطبيقها كمعايير عامة فى المجتمعات المتعددة والدنيوية سيكون أمرا فى غاية الصعوبة ويدعو للانقسام وعدم العدل. ولكن لما كانت القيم التى جاءت فى الإنجيل تتفق مع بقية القيم العالمية الإنسانية فإن أقوال الأنبياء التى جاءت فى الإنجيل يمكن أن تتوجه مباشرة وبدرجة مصداقية عالية إلى العالم الحديث.

الرسالة المسيحية:

إن الرسالة المتميزة التى أتت بها المسيحية تتعلق ببركة الرب. فيؤمن المسيحيون أن الرب دخل التاريخ في شخص يسوع المسيح Jesus Chirst واختار المسيح أن يعذب ويعانى على يد أهل العنف بدلا من أن يقاوم بالقوة، وفى موت المسيح يستعيد الرب سيطرته على خلقه بطريقة مدهشة. ليس باستعراض القوة وإنما بالتسامح والمحبة، ويعطينا بعث المسيح Ressurection of jesus الأمل فى أن التسامح والمحبة سوف ينتصران فى النهاية. أما عن مسألة وجود المسيح حيا فى قلب الكون فهذه مسألة إيمان.ولكن الأمر الواقع هو أن الكنيسة المسيحية قد بدأت عندما اقتنع تلامذة المسيح أن الله قد بعثه حيا من بين الأموات. وقد نشرت الحركة التى بدأوها فى العالم كله رسالة مفادها أن الحب هو الواقع النهائى والأقرب. كذلك فإن مسألة ما إذا كان الحب الذى تبدى فى المسيح سيسود العالم فى النهاية أم لا فهذه مسألة إيمان. ولكن الواقع أن كثيرا من البشر يتأثرون وأحيانا تحدث لهم تغيرات هائلة بفعل الرواية المسيحية عن حب الرب. إن بركة الرب، التى تجلت بشكل خاص فى المسيح، يسميها مارتن لوثر "يد الرب اليمنى"، فالبركة هى طريقة أخرى يعامل بها الرب الناس وهى تختلف اختلافا واضحا عما نلاحظه عادة من الرب فى الطبيعة والتاريخ. فنحن نلاحظ عادة الأسباب والنتائج، أو على وجه

الدقة فى المسائل الأخلاقية الخطيئة والحساب ولكن الرسالة السماوية تعلمنا أن الرب قد غفر لنا خطايانا وأنه بطريقة أو بأخرى سيخلص العالم كله من الحساب المروع الذى قال عنه الأنبياء.

وهذه الصلاة من رسالة فى العهد الجديد New Testement إلى أهل أفسوس Ephisians (٣:١٤-١٩) تعبر عن خبرة مسيحى فى حب الرب:

اسجد فى الصلاة للأب الذى تستمد منه كل أسرة فى
السماء والأرض اسمها أن يسبغ عليكم من كنوز
عظمته القوة ومن روحه العزم ليدخل فى كيانكم. وأن
يجعل الإيمان بالمسيح يسكن قلوبكم فى محبة. وأن يفوبكم
بجذور عميقة وأسس متينة حتى تدركوا مع كل شعب
الرب عرض وطول وارتفاع وعمق محبة المسيح. وأن
تعرفوها رغم أنها أبعد من أى معرفة. لذلك ندعو
أن تنالوا كمال الوجود وكمال الرب نفسه.

إن محبة الرب مرضية إلى درجة هائلة مثلها مثل المحبة الإنسانية الحميمة. ولكنها غير مشروطة بمعرفة كاملة. وتؤثر تلك الخبرة على كافة نواحى حياة المسيحيين، بما فى ذلك تناولنا للمسائل الدولية. فإنها توفر حافزا أخلاقيا ومعنويا قويا، وهذا بالضبط الأمر الذى يحتاجه العالم

بشكل ملح. فمحبة المسيح تلهم المسيحيين ألا يهدأوا ازاء العنف وعدم المساواة، حتى لو كانت هذه الأمور مقبولة اجتماعيا أو تبدو أفضل ما يمكن توقعه فى ظل ظروف صعبة. إن وجود الروح القدس يتجلى فى التوق إلى العدالة، وهو الأمر الذى يقلق كنائس أمريكا اللاتينية وخاصة الكنيسة الكاثوليكية فى البرازيل، فتحت وطأة فظائع الديكتاتوريات العسكرية فى السبعينيات اضطر قادة الكنيسة إلى التخلى عن الدور التاريخى لمؤسستهم وأصبحوا نقادا لما تعانيه البرازيل من قسوة انعدام العدالة الاقتصادية. وحولوا كثيرا من الرهبان والراهبات من العمل بين الطبقات المتميزة إلى العمل بين الفقراء. وعلى مر السنين ساعد رجال الدين فى إقامة عشرات الآلاف من الجماعات المحلية الأساسية Base Communitics حيث يتجمع فى تلك الجماعات الصغيرة الفقراء ليعبدوا الرب وينظموا أنفسهم للتغلب على الفقر والظلم.

وفى بعض الأحيان والأماكن تساند الكنيسة قوى القمع والكراهية. ويصل الأمر إلى أن تكون الكنائس مملة. ولكن يحدث أن الروح القدس تخترق الحواجز أحيانا وبطريقة تهز العالم هزا كما حدث ضد الاستبداد فى بولندا أو فى الفلبين، أو من أجل السلام فى السلفادور ونيكاراجوا أو فى مواجهة الفقر كما يتمثل فى آلاف من المشروعات لتنمية المجتمع التى تتبناها الكنيسة فى أنحاء كثيرة من العالم. وفى الولايات المتحدة الأمريكية

نجد حالات كثيرة كانت للكنيسة فيها المبادرة فى تنمية المجتمع بين الجماعات المنخفضة الدخل. ويبرز اسم مارتن لوثر كينج Martin Luther King Jr. كنموذج فريد للنضال ضد الفقر والظلم المحليين. وقد أصبحت الكنائس فى الولايات المتحدة الأمريكية تدريجيا أكثر فاعلية فى التعامل مع الفقر على نطاق عالمى. ففى الخمسينيات بدأت الكنائس عملا منظما فى الدول النامية من خلال منظمات مثل خدمات الإغاثة الكاثوليكية Catholic Relief Services والخدمات الكنسية العالمية Church world Service وفى الستينيات بدأ الفاتيكان Vatican ومجلس الكنائس العالمى World Council of Churches فى معالجة مسائل السياسة العامة للإنماء الدولى. وفى السبعينيات بدأت الكنائس فى الولايات المتحدة الأمريكية فى تكوين جماعات ضغط فى الكونجرس بشأن الإنماء العالمى وأنشئت منظمات مثل الخبز للعالم Bread for the world وهى حركة للمواطنين المسيحيين نظمتها الأبراشيات والدوائر الانتخابية. وقد تبدو تلك الجهود تافهة مقارنة بالمشكلات العالمية، إلا إن الجهود ذوات الدوافع القوية كثيرا ما تحقق فعالية مدهشة وتقدم الدعم الروحى والقيادة لجهود الآخرين. فالذين يؤمنون منا بأن المسيح كان كشف الرب الحاسم عن نفسه يتوقعون أن المحبة التى طال عذابها هى التى ستخلص العالم مما هو فيه وليس مظاهر القوة الدنيوية.

إن الخبرة المسيحية لبركة الرب تضيف إلى أملى فى البشرية. ولقد انتظر الرب لقرون طويلة قبل أن يتحرك فى النهايـــة ليـــدمر إســـرائيل ويهوذا. وأعتقد أن صبره كان من أجل أن يعطى العالم خيارات أفـــضل من المخاطر التى صنعناها بأيدينا. فإن الرب يدهشنا يوما بعد يوم وعقدا بعد عقد، والإنجيل يعدنا بأن للرب خططه من أجل البشرية داخل التاريخ وخارجه، وهى خطط أفضل بكثير مما نستحق أو نتـــصور. وبـــالطبع لا يعنى هذا أن نسترخى، بل على العكس فإن الأمل فى أنه مـــازال هنـــاك وقت يجب أن يعطينا الشجاعة لمواجهة أخطار تدميرنا لأنفـــسنا بأيـــدينا، وكذلك يعطينا القوة لكى نغير أســـاليبنا. ويبـــدو أن الظهـــور الفجـــائى للديمقراطية فى كثير من البلدان الناميـــة وكـــذلك الإصـــلاح الـــسياسى والاقتصادى فى الكثير من البلدان الشيوعية هما فى الحقيقة مـــن هبـــات الرب. فكلها تقدم لنا ما يسميه الإنجيل كيروس kairos أو لحظة يمد فيها الرب يده لإنقاذ شعبه ويناديهم ليستجيبوا له.

كاهن فى البنك الدولى:

لقد ظللت أعمل كأحد أعضاء أسرة البنك الدولى لمدة أربعة عـــشر عاما، ولكننى أيضا كاهن لوثرى أعمل استجابة لما تطالب به الكنيسة من تطبيق للعقيدة المسيحية وتعاليمها الأخلاقية فى حل المشكلات العالميـــة. وعندما التحقت بالبنك الدولى كنت أتوقع أن أبقى به لسنوات قليلة إلا أن

عملى به أكد لى أنه متسق مع الدعوة فى كنيستى. فالبنك مؤسسة ذات نفوذ وذات توجه علمانى وتعتبر أهدافه أخلاقية، وخاصة ما يتعلق منها بالتنمية الاقتصادية وتخفيض الفقر فى البلدان النامية، وتخضع القرارات فيه للاعتبارات المنطقية والأخلاقية. ومع بداية الثمانينيات أقلقنى أن نشاط البنك الموجه مباشرة إلى تخفيض الفقر قد قل معدله، إذ إن الأزمات الاقتصادية فى كثير من البلدان أدت إلى توجه البنك لتوفير المعونة إلى عدد كبير من الحكومات التى تجاهد من أجل استعادة الاستقرار المالى والنمو الاقتصادى. وكنت فى ذلك الوقت ممن يعدون الخطب التى يلقيها رئيس البنك وأحسست أنه من الضرورى أن نوضح كيف يعمل البنك فى الحفاظ على اهتمامه الخاص بتخفيض الفقر فى ظل هذه الظروف الصعبة. ولقد كتبت بحثا أثار كثيرا من الجدل والمناقشات حول هذا الموضوع بين القيادات العليا فى البنك. وكان مما يشغلنى أيضا أن البنك الدولى ليس على اتصال وثيق بكثير من الجماعات الدينية والإنسانية التى تبذل جهودا لتخفيض الفقر والجوع فى أنحاء كثيرة من العالم. هذا ولقد وافق البنك الدولى أن يعهد إلىَّ بمهمة تقوية علاقاته بتلك الجماعات. ولقد كان لرؤسائى فى البنك الفضل فى أنهم كانوا أقل اهتماما بالعلاقات العامة وأكثر اهتماما بالاستماع والاستجابة بشكل فعال لجوهر المسائل. وتمت دعوة قادة من الجماعات الإنسانية والدينية إلى البنك، وقام كثير منهم بحثِّنا على بذل المزيد من الاهتمام بالأنشطة التى يستفيد منها الفقراء

مباشرة. كذلك لفتت اليونيسيف UNICEF وغيرها من المؤسسات الانتباه إلى ما يتعرض له الفقراء نتيجة لأزمة التنمية الدولية في الثمانينيات. وفي داخل البنك الدولي قاد عدد من أعضاء جماعة يوم الجمعة الجهود التي تبذل من أجل إيجاد أفضل الحلول لمساعدة الفقراء في البلدان المتأزمة. هذا ولم ينقض وقت طويل حتى عادت سياسة البنك إلى التركيز على تخفيف وتخفيض الفقر.

بعد ذلك طلب مني أن أساعد في تدعيم علاقة البنك بالجماعات المهتمة بالبيئة، فقد وجهت جماعات مثل صندوق الدفاع عن البيئة Environmental Defense Fund والاتحاد القومي لرعاية البيئة البرية National Wildlife Federation النقد إلى البنك لعدم بذله المزيد من الاهتمام بالآثار المتعلقة بالبيئة في مشروعاته. ولقد منحت لي صلاحيات مثل تلك التي منحت لي في مسألة الفقر لجعل البنك يستجيب بشكل فعال لهذه المسائل. ولقد ساعد هذا الجهد في الإعداد لبرنامج العمل الطموح المتعلق بالبيئة والذي بدأه البنك عام ١٩٨٧.

ومع بداية عام ١٩٨٨ بدأ البنك الدولي جهدا منظما لإشراك الجمعيات والمنظمات غير الحكومية Non-governmental Organizations (NGOs) في عملياته. ولقد قدت فريق عمل صغير لرعاية هذه الجهود والاعتناء بها. واليوم تساهم المنظمات غير الحكومية

فى أكثر من خمسين مشروعا من مشروعات البنك كل عام، فى حين إنها كانت فى الماضى لا تشارك إلا فى حوالى خمسة عشر مشروعا فى السنة. ومعظم تلك المنظمات غير الحكومية تتعامل مباشرة مع القاعدة الشعبية العريضة فى البلدان النامية مثل اتحادات الفلاحين والجمعيات النسائية والهيئات الدينية والجماعات الأهلية التى تدعم الأنشطة البيئية والاجتماعية. وفى العادة لا يتعاون البنك الدولى إلا مع الحكومات، ولكن وجد أن المنظمات غير الحكومية يمكنها أن تساعد فى أن تجعل البرامج الرسمية أكثر استجابة لمتطلبات الفئات محدودة الدخل. كما أن بعض تلك المنظمات غير الحكومية يمكنها أن توسع مجال تأثيرها ليمتد إلى التأثير على البرامج والسياسات الحكومية. ويرتبط نمو تأثير المنظمات غير الحكومية وانتشار الديمقراطية فى البلدان النامية ببعضهما البعض، ويتبادلان الدور فى دعم عمليات التنمية. ولقد طلب منى مؤخرا قيادة برنامج للعمل والتعليم لتقوية دعم البنك الدولى للمشاركة الشعبية فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالتنمية.

وهناك عدة دروس مستفادة من عملى فى البنك الدولى يمكن أن تساعد الآخرين، وهى تتلخص فيما يلى:

أولاً: لقد دهشت من وجود تأثير روحانى حقيقى وملموس داخل البيروقراطية العلمانية. ولقد لاحظت أنه عندما دفعتنى روح

المسيح لآخذ بعض المخاطر البيروقراطية كانت النتيجة تتمثل فى تحقيق التغيير بدرجة لم أكن أتوقعها وبصورة متكررة. ولقد أثارت المناقشات الأخلاقية استجابات مواتية لدى مختلف أنواع الأفراد فى أنحاء مختلفة من المنظمة* ورغم أن نجاحاتى لم تؤد إلى ارتفاع سريع فى السلم الوظيفى، فإنه يجب العلم بأن اتباع يسوع المسيح لم يعد بأنه سيوصل إلى قمة التنظيم البيروقراطى. ولكن ربما تكون تجربتى هذه ملهمة للأفراد الآخرين من ذوى النوازع الدينية الذين يعملون فى مؤسسات علمانية أخرى ليستمدوا منها الشجاعة.

ثانيا: لقد ظلت جماعة يوم الجمعة مصدرا مستمرا للتشجيع والوضوح الفكرى فى جهودى من أجل ربط العقيدة بالعمل فى البنك الدولى. وتشبه جماعاتنا آلاف الجماعات التطوعية الأخرى على مستوى العالم مثل جماعات دراسة الإنجيل، وجماعات المساندة الشخصية ...إلخ. ولكن بفضل طبيعة العمل فى البنك الدولى فإن جماعة يوم الجمعة تربط بين أشخاص ذوى ثقافات متنوعة وعظيمة الاختلاف وتركز على مسائل أكثر عمومية وشمولا. إضافة إلى أنه يوجد لدى الجماعة إحساس بهدف مشترك راديكالى يجمع جميع كنائس

---

* يقصد بالمنظمة هنا البنك الدولى. (المترجم)

العالم ecumenical ولكنه مع ذلك له خلفية دينيـــة. وأعتقـــد أن الروح القدس Holy Spirit كانت تقودنا بالرغم من أن الكثير من أعضاء الجماعة لا يستسيغون هذا التعبير.

وأعتقد أنه يمكن تكوين جماعات مشابهة فى سياقات أخرى عديـــدة، وخاصة فى المؤسسات والمدن التى تـضم أفـراداً تختلـف مـشاربهم وقومياتهم وأديانهم، ويمكن لتلك الجماعات أن تحشد القوى الأخلاقية التى غالبا ما تحاصر داخل المؤسسات العلمانية.

ولقد حضر عـدد قليـل مـن أعـضاء صـندوق النقـد الـدولى International Monetary Fund اجتماعاتنا ثم بدأوا بعد ذلـك فـى تكوين جماعة خاصة بهم. ولقد تناولت مناقشات جماعة صـندوق النقـد الدولى فى الأخرى موضوعات متعددة، ولكنهم أبـدوا اهتمامـا خاصـا بالإمكانيات العملية لتشجيع السلام العالمي. كما أنهم ناقشوا كيف يمكـن لبرامج صندوق النقد الدولى أن تؤثر على الفقراء. ومـن المعـروف أن الحكومات الأعضاء فى الصندوق لم تعط له أبدا تفويضا ليختبر الآثـار الاجتماعية المترتبة على برامجه، و لكن بالرغم من ذلك نجد أن الإدارة فى الصندوق قد أصبحت اليوم أكثر اهتماما بمعرفة آثار برامجها علـى الفقراء. هذا وتقوم هذه الجماعات الشقيقة بدور متواضع وغيـر رسـمى ولكنه يشكل دعما مهما بالنسبة لمستوى العاملين فى الصندوق.

هذا وهناك درس أخير مستفاد من عملى فى البنك الدولى ألا وهو أهمية نشاط المواطنين فى المسائل ذات الأهمية العالمية. فقد شحذت فعالية المواطنين جهود البنك الدولى بالنسبة للتركيز على كل من مشكلتى الفقر والبيئة. وتعتبر أهم مشكلات العالم الآن ذات أصل أخلاقى وسياسى، وغالبا ما تلعب فعالية الجماهير فى المشاركة كعامل حاسم لترجمة الدوافع الأخلاقية إلى قرارات سياسية. ولذلك فإن فعالية المواطنين ضرورية فى كل بلد، ويبدو أنها آخذه فى النمو وعلى مستوى كبير ومحنك فى أنحاء كثيرة من العالم.فإن وجود تنظيمات قوية يشارك فيها الفقراء أنفسهم يعتبر عاملا مهما لإحراز التقدم لمكافحة الفقر.

إن مشاركة المواطنين وفعاليتهم فى الولايات المتحدة الأمريكية لها دور حاسم، حيث يمكن للمواطنين فى الولايات المتحدة أن يمارسوا تأثيرا مباشرا على السياسات القومية، ويعتبر هذا أمرا مهما وخاصة بالنسبة للدور القيادى الذى تلعبه حكومة الولايات المتحدة فى معظم المسائل العالمية. وبالرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد تسيطر على العالم كما كانت تسيطر عليه فى الخمسينيات، فإنها مازالت تتمتع بقوة حق الاعتراض Veto Power بالنسبة للمسائل العالمية. ونجد مثلا أنه لو تلكأت* فى معالجة مسألة الديون الخاصة بالدول النامية فإن كثيرا من

---

* المقصود هنا الولايات المتحدة الأمريكية. (المترجم)

الدول سيكون موقفها فى الغالب عدم حشد الإدارة أو المـــوارد اللازمـــة لإيجاد حلول جريئة أو جسورة على المستوى العالمى.

وتعتبر الدوافع السياسية ذات المصالح الذاتية أقـــوى مـــن دوافـــع الضمير، فمدينة واشنطن العاصمة Washirgton D.C. يمكن أن يطلق عليها أنها متاهة مليئة بجماعات الضغط والمحامين لفئات مختلفة ولكـــل منها مصالحها الخاصة. وتتخذ أكثر من ثلاثة آلاف مؤسسة من منطقـــة واشنطن مقرا لها، ويعمل فى هذه المؤسسات أكثـــر مـــن ثمـــانين ألـــف موظف. ومعظم هذه المؤسسات تمثل مصالح خاصة. أما الهيئات التـــى تمثل مصالح عالمية فهى أقل نسبيا وكذلك أضعف من ناحيـــة التمويـــل. ونجد أن أكبر جماعات الضغط الكنسية وهى جماعة الخبز للعـــالم التـــى تعنى بالمسائل المتعلقة بالفقر على المستويين المحلى والدولى لا يزيد عدد موظفيها على الخمسين ويتقاضى العاملون فيها مرتبات هزيلة.

ورغم ذلك فقد أظهر التاريخ أن اهتمام الجماهير يمكـــن أن يحقـــق شيئا فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى العالم كله، حيث يمتلك قوة تغيير هياكل التفكير ثم تغيير السياسات، ونجد الأمثلة على ذلك واضـــحة فـــى حركة الحقوق المدنية فى الخمسينيات والحركات الداعية للسلام وحركـــة العدالة الاجتماعية وحركة تجديد الاهتمام بالمخاطر النوويـــة والمـــشاكل البيئية فى الثمانينيات. وفى كل هذه الحالات كان للفئـــات الـــشعبية دور

فيادى ثم تبعتها الجهود الرسمية. وقد أوضح انبعاث الديمقراطية فى كثير من البلدان فى السنوات الأخيرة وبشكل قاطع قدرة الأفراد العاديين على إحداث التغيير السياسى.

هذا وبصفة خاصة فإننى أشد تشوقا لظهور حركة عالمية ذات فعالية يمكنها أن تضع نهاية لجوع البشر أو المجاعات الكبرى المنتشرة Mass hunger. ولعل المهتمون بهذه المسألة يحتاجون إلى إعطاء المزيد من الوقت والمال للتنظيمات التى تعمل على مكافحة الجوع، وخاصة التى تستهدف وتعمل على التأثير فى السياسة العامة.

كما أن الهيئات التى تعنى بمكافحة الجوع على اختلافها تحتاج إلى التعاون وضم الصفوف مع الحركات المهتمة بالبيئة، كما تحتاج إلى تعميق صلاتها مع المنظمات الشعبية فى البلدان النامية. وأخيرا يحتاج الدعاة والمهتمون بمجال مكافحة الجوع أن يعرفوا المزيد عن الروابط الاقتصادية العالمية، وخاصة ما يتعلق بمسائل الديون والتجارة حيث إن لتلك الروابط تأثيرات قوية على الفقراء.

وإننى أتطلع بأمل كبير إلى الكنائس فى الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بهذا الموضوع وغيره من الموضوعات الملحة فى زماننا هذا. فقد أظهرت المسيحية مرارا وتكرارا قدرتها على تفريخ حركات الإصلاح الاجتماعى وإعطائها القدرة على البقاء. والكنائس حاليا تصارع بالفعل فى خضم المشاكل العالمية، حيث يقوم الوعاظ بالتحدث عنها، وتقوم كذلك

مدارس الأحد Sunday Schools بتدارسها إضـــافة إلـــى أن الكنـــاس القومية تقدم الآن برامج ذات طابع عام للتعليم والنشاط السياسى. ولكـــى نقوم بدورنا المناسب إزاء الفرص والأخطار التى تواجه الإنسانية فإنـــه يجب على مسيحيى الولايات المتحدة الأمريكية أن يستندوا بعمق أكثر إلى المصادر الروحية التى وهبت لنا وأن يوجهوا مزيدا من طاقاتنا الروحية إلى معالجة المسائل الأخلاقية الشاملة والعالمية.

هل يمكن غروب الآلهة؟ ما بعد الإيمان بالعلم

سفن بيرميسير

ولدت فى مدينة ريفية دانماركية فى بداية الحرب العالميـــة الثانيـــة، وكانت هذه الحرب تجربة مدمرة لأوروبا ماديًا ومعنويًا، فقـــدت خلالهـــا القيم القديمة التى غرستها ونمتها الكنيـــسة اللوثريـــة Luthcran State Church التي ينتمى إليها تسعون فى المائة من السكان مصداقيتها ولـــم تعد تحرز أى تقدم فى الدانمارك؛ فقد عملت الدولة والكنيسة جنبًـــا إلـــى جنب ليعلموا الشعب قيم الواجب والإيمان والولاء للملك والوطن، ولكـــن مع انتهاء الحرب العالمية الثانية ومع تزايد السخرية من دور الأخلاق فى الشئون العالمية قل الاقتناع بالكنيسة.

وزاد من قوة الاتجاه العلمانى الذى اتـــسمت بـــه أحـــزاب أوروبـــا الاشتراكية الديموقراطية Social Democratic Labor Parties احتياج البلدان المضارة من الحرب إلى أن تجد لنفسها مخرجًا من الفقـــر عـــن طريق التقدم المادى، وبدا أن القيم الروحية لا تناسب هذه الظروف بينما كان العلم والتكنولوجيا مناسبين ، وقد شهدت فى حياتى تحول الـــدانمارك من فقر خلفته الحرب إلى مستوى من المعيشة يقول عنه علماء الاجتماع إنه من أعلى المستويات فى العالم.

كنا فى البيت الذى شهد طفولتى لا نستطيع أن نوفر التدفئة لأكثر من غرفة واحدة وذلك خلال شتاء الأربعينيات القارس. ولم يكن لدينا مياه ساخنة ولم يكن لدى أى طفل أكثر من طقم واحد من الملابس، أما الآن فتتوفر التدفئة المركزية لكل بيت فى الدانمارك والأطفال لا يلبسون نفس الملابس فى يومين متتاليين. ولقد استطاع الديموقراطيون الاشتراكيون الذين أعطتهم أسرتى التى تنتمى إلى الطبقة المتوسطة صوتها الوفى أن يتجاوزوا الكنيسة بشكل واضح، وذلك من خلال توفيرهم للدانماركيين حياة أفضل، ولكنها ليست بالضرورة الحياة الأسعد. ولقد توصل كثير من الدانماركيين فى السنوات الأخيرة إلى الاعتقاد بأن التقدم المادى لا يخلق السعادة بالضرورة كما تبين لقليلين منهم أن التقدم الروحى ربما يحقق ذلك.

كان والدى يملك مطبعة صغيرة، كما كان له اهتمام شخصى بالكتب واللغات. وكان يتحدث الألمانية والإنجليزية بطلاقة حيث كان يستطيع محادثة بحارة سفن الفحم التى كانت تصل إلى مدينتا قادمة من نيوكاسل Newcastle وكنت أحلم بزيارة إنجلترا فى وقت ما، وبالطبع فى ذلك الوقت لم أكن أدرى أن أحلامى ستتحقق ومتجاوزة لأقصى توقعاتى، وأننى سوف أجوب العالم بشكل روتينى كجزء من عملى فى البنك الدولى.

وحين أتممت الدراسة الثانوية فى عام ١٩٥٩ كان يبدو أن العلم والتكنولوجيا هما الطريق إلى المستقبل، فقد قام السوفييت بوضع أول

سبوتنيك Sputnik في مدار الفلك وخلال العشر سنوات التي تلتها قـام الأمريكيون بالسير على القمر. وفي ذلك الوقت قررت أن أصبح عالمًـا، ودرست الكيمياء العضوية، وهي المادة التي قمت بتدريسها فيمـا بعـد، وكذلك أجريت أبحاثاً فيها. ثم قضيت عامين في جامعة صغيرة تقع على جبال الأنديز في بيرو. ولقد علمتني تلك التجربة أن العلم لا يكفي لتغيير الآفاق الإنسانية إلى الأفضل. فبعد سـقوط إمبراطوريـة الإنكـا Inca Empire تعرض هنود أعالي بوليفيا وبيرو للاستغلال من قبـل الغـزاة الإسبان وأحفادهم، وبالرغم من التقدم المادي والتكنولوجي في العالم مـن حولهم ظل الهنود في فقر مدقع، حيث كانوا فريسة سهلة لـسيل ثـوري ديماجوجي يفيض عليهم متتاليًا. ولقد كان قائد الحركة الثورية في ذلـك الوقت زميلاً لي في الجامعة وهو أبيمال جوزمان Abimaal Guzman. ولقد تطورت حركته إلى أن أصبحت حركة الطريق المتوهج Shining Path الشائنة التي تأخذ بيرو الآن إلى الحرب الأهليـة، ولأن خلفيتـي العلمية جعلتني غير قادر على احتمال الأساليب الثورية الديموجاجية فقـد شعرت كما أشعر الآن أنه وأقرانه مخطئون في تعصبهم.

ولكي أضيف إلى ما في جعبتي درست الاقتصاد والعلوم الـسياسية في جامعة برنستون Princeton University ثم وجدت طريقـي إلـى البنك الدولي. ومن الخبرة التي اكتسبتها عن طريق عملـي فـي البنـك

الدولى فإننى مقتنع أنه نجح فى مساعدة أكثر بلدان العالم فقرا على تحقيق امالهم فى التقدم الاقتصادى. ولقد أثرانى عملى هذا أنا شخصيًا من خلال ما تعلمته من لغات وثقافات فى البلدان التى عملت فيها ومعها.

وعلى مدى التسعة عشر عامًا التى عملت خلالها فى البنك الدولى كان عملى مع بلدان أفريقية وآسيوية بالدرجة الأولى. ولقد أضفت اللغتين البرتغالية والإيطالية إلى ما أعرفه من لغات إنجليزية وألمانية وفرنسية وإسبانية، كما قمت بمحاولات ناجحة نسبيا لمعرفة اللغتين العربية والصينية وكذلك لغة البهاسا الإندونيسية Bahasa Indonesia. ومع أن هوايتى هى تعلم اللغات فإننى مقتنع بأنه حين يفشل البنك الدولى فى جهوده التنموية فإن ذلك يرجع فى الغالب إلى أن المهارات التقنية والاقتصادية للعاملين فيه لا يصاحبها فهم للثقافات المحلية.

ولعل أهم خبراتى فى البنك الدولى هى لقائى باثنين من أكبر الشخصيات فى ميدان التنمية: وهما روبرت مكنمارا Robert S. McNamara الذى عملت مساعدا شخصيا له لمدة ثلاث سنوات حين كان يتولى رئاسة البنك الدولى، ويوهانز ويتفين Johannes Witteveen مدير الإدارة السابق لصندوق النقد الدولى الذى شاركت على مدى سنوات عديدة فى اجتماعات جماعته الصوفية.

ولقد علمنى مكنمارا أن التغيير يتحقق بشكل أفضل حين يضع

الأفراد أهدافا واضحة ويقومون بإعداد وتنفيذ خطط عمل مفصلة ولها جداول زمنية محددة، كما أن تنظيم النفس والثقة يعتبران من المكونات الرئيسية فى هذه العملية.

وقد جعلنى ونيفن متأثرًا بفكرة أن التقدم الروحى هو غاية الحياة، وأن التقدم لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الجهد الذى يبذله الفرد فى التأمل Meditation، كما أن المرء يجب أن ينخرط فى الشئون اليومية لبنى البشر، وأن يحاول العمل على تحسين أحوال الآخرين، ولكن فى النهاية يجب عليه ألا يعبأ بنجاحه أو فشله الشخصى.

ولقد رأيت فى أفريقيا أسوأ أنواع الفقر واليأس. فلقد رأيت الذباب فى عيون أطفال إثيوبيا الذين يعانون من سوء التغذية. وعجبت كيف يكون لأفريقيا أن تتقدم طالما استمر عدد سكانها فى تزايدهم السريع، وكذلك عملت فى بلدان فى شرقى آسيا حيث رأيت النجاح الذى حققته برامج التنمية. ومن كل هذه التجارب ازداد اقتناعى بأن الأمر يحتاج إلى شىء أكثر من الرفاهية المادية سواء لتحقيق الإنماء والتطوير الشخصى أو فيما يتعلق بالبشرية ككل. وأصبحت مقتنعًا بأن جهودنا قد لا تأتى بأى ثمار مهما كانت النوايا حسنة، وذلك إذا ما افتقرت مساعينا الفردية أو الجماعية إلى مضمون روحى.

الحد الفاصل:

أعتقد أننا ربما نكون عند حد فاصل فى التطور الإنسانى، وأن هناك طرقًا كثيرة ممكنة. ولكن يبرز من بينها اثنان: طريق يؤدى إلــى فنــاء البشرية، وآخر يؤدى إلى تحقيق حلم البشرية الذى طــال أمــده للوفــاء باحتياجات البشر المادية. فقد توفر لنا من خــلال العلــم والتكنولوجيــا الوسائل التى يمكننا بها التخلص من الفقر، وإن كنا فى الحقيقة لا نستطيع أن نعطى كل إنسان ما يرغب فيه إلا أننا نستطيع أن نؤمِّن لكــل أبنــاء البشر الحصول على ما يحتاجون إليه، وهذه الحالة لم تكن على هذا النحو من قبل عبر تاريخ البشرية كله.

ويعتقد الناس دائمًا أن الزمن الذى يعيشون فيه هو إما أفضل زمــن وإما أسوأ زمن. وإذا أخذنا فى اعتبارنا ما وصلنا إليه من معرفــة فإننــا نستطيع أن نبتسم إذا تذكرنا الخوف الذى كان يلم بالناس وقــت كــسوف الشمس أو الرعب الذى كان يثيره القوس والنشاب وقت استحداثه، ونحن نعلم أن الحياة لا تتطور على مسار سهل مــستمر دون حــدوث وقفــات عنيفة. بل العكس تمامًا، فقد بدأ العالم مع انفجار هائل big bang وظلت النجوم والشموس فى تفجر وزوال مستمرين. ولقــد اختفــت مخلوقــات ومازالت تختفى أخرى. وإنه من الممكن أن نلقى أنفسنا نفــس المــصير الذى آل إليه الديناصور. ومن جهة أخرى، فإننا نجد أن التطــور إلــى جانب ظهور الهندسة الوراثية، يمكن أن يأتى بمخلوق خال مــن نزعــة

العدوان الإنسانية الطبيعية، وبالتالى لا يمكن أن يكون أكثر ملاءمة منـــا للحياة فى بيئة قابلة للبقاء المضطرد. ولقد ساعد العلم والتكنولوجيا على بقاء الإنسانية، ولكننا نعلم أنه يمكن لقوتهما الرهيبـــة أن تبيـــد البـــشرية بالفعل.

هناك خمس قضايا رئيسية تحدد الحد الفاصل الذى نواجهه حاليًا، وهى كما يلى:

أولاً: يوجد اليوم فى عالمنا ست قوى نووية على الأقل وهـــى الولايـــات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى والصين والهند وفرنـــسا والمملكـــة المتحدة، ومن المحتمل وجود ست قوى أخرى على الأقل خلال عقد واحد من الزمان ، ومن بينها نجد العراق وليبيا وباكستان وجنـــوب أفريقيـــا*، وعلى قدر ما كان الأمر مخيفًا فإن ميزان الرعب بين القوتين العظميـــين قد حافظ على الاستقرار فى العالم. ولكن ومع امتلاك بلاد أخـــرى ذات مصالح سياسية شديدة التباين للأسلحة النووية، فإن الخطر أن تقدم واحدة منها أو أكثر على استخدام تلك القوة يزداد، والأكثر رعبا هو أن تـــسقط مواد نووية فى يد إرهابيين يمكن أن يستخدموها للابتزاز.

---

* بالإضافة إلى ما يقال عن كل من إيران وكوريا الشمالية وعدد من الـــدول الأخـــرى. (المترجم)

ثانيًا: قد يؤدى استخدامنا الراهن للبيئة إلى دمارنا فى النهاية. فـنحن إن مضينا على طريقنا الحالى فإن السؤال لن يكون فى الواقع عما إذا كـان الدمار سيقع ولكنه سيكون عن توقيته؛ إذ تشكل الأمطار الحمضية Acid rain وتـدمير الغابـات Deforestation وتآكـل الأوزون Ozone depletion وارتفاع حرارة الكون علامات واضحة علـى أننـا نـسىء استخدام الموارد الموجودة على كوكب الأرض ونستنفدها. ويدور النقاش بين علماء الاقتصاد حول إمكانية أو عدم إمكانية إيجاد بدائل للموارد التى نفتقدها، ورغم أهمية هذه المناقشات إلا أن المقولة المهملة فيها تدور حول حقيقة كون كل الموارد محدودة فى النهاية. والسؤال الآن هو متى تـأتى هذه النهاية؟

يعتقد البعض أن الموارد المهمة الأساسية ستستنفد خلال جيل واحـد أو جيلين، بينما يعتقد آخرون أنه قد يكون فى إمكاننا أن نواصل استبدال مصدر الطاقة بآخر حتى احتراق الشمس بعد بليـونى سـنة مـن الآن. وبالرغم من أن قلقى يزداد إذا كان هناك تأكيد بأننا سنستهلك كل مواردنا الرئيسية خلال جيل، إلا أن التوقيت ليس هو القضية ولكن السؤال المهـم هو كيف ندرك نحن الآن علاقتنا مع الطبيعة؟ وهل نحن هنا على الأرض لاستغلالها واستنفاد كل ما عليها؟ أو إننا موجودون لنعمل علـى إيجـاد توازن مع بقية المخلوقات ولنعيش أمناء أو حراسا وخلفـاء Stewards قائمين على رعاية الإمكانيات التى تمنحها الأرض لنا دون أن نـستنفدها او ندمرها؟

ثالثا: نحن نلهو بالقنبلة الموقوتة التى تتعلق بالارتفاع الزائد فـــى النمـــو السكانى فى البلاد الأقل نموا، فحين يزيد النمـــو الـــسكانى عـــن النمـــو الاقتصادى يصبح الناس أكثر فقرًا ، ويعد مستوى المعيشة فـــى معظـــم بلدان أفريقيا وكثير من بلدان جنوب شرقى آسيا غير مقبول بالمرة، وذلك تحت أى معيار، مع العلم بأنه لم يتم إحراز أى تقدم مادى ملموس بالنسبه لهذا الوضع. هذا ويعد متوسط دخل الفرد فى كل البلدان الأفريقية جنوب الصحراء أقل تقريبًا مما كان عليه وقت حصولها على الاستقلال السياسى منذ حوالى ثلاثين عامًا، وفى مثل هذه الظروف فإن خطر الاضـــطراب السياسى والاجتماعى يكون من الأمور ذات الاحتمالات الكبيرة.

رابعًا: يعانى النظام الاقتصادى والمالى العالمى من حالة اضطراب، كما تخيم على العالم وبشدة مشكلات ديون البلدان الفقيرة والغنية علـــى حـــد سواء. وتعد الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل مثالين واضحين علـــى ذلك، ومازال الوضع فيهما أبعد ما يكون عن الحل. ولكن على الرغم من أهمية هذا الوضع فهو أقل تهديدًا من الأخطار النوويـــة والبيئيـــة التـــى شرحتها من قبل. وأعتقد أولاً أنه مازال بالإمكان اتخاذ سياسيات حكومية لإنقاذ الوضع، وستنجح فى الأغلب إذا ما قمنا باتخاذها. ثم ثانيًا أعتقد أنه بمعدل الدخل العالمى للفرد والذى يصل إلى أربعة آلاف دولار فى السنة فإننا نستطيع أن نقول إن الإنسان قام بحل المشكلة الاقتصادية الأساســـية،

وإن التحدى الباقى يتعلق بكيفية التوزيع، وأعتقد أن احتمال أن يواجه بعضنا انحدارًا فى مستوى المعيشة لا يشكل هلاكًا للبشرية ولكن كارثة البيئة والأسلحة النووية هى التى يمكن أن تشكل خطرا يؤدى إلى هلاك البشرية. وبالرغم من ذلك فيجب علينا ألاّ نقلل من حقيقة خصائص النظام العالمى والمالى وأهمية العلاقة بين المتغيرات الاقتصادية والمالية؛ إذ ليس بإمكان أى حكومة أن تدير اقتصادها دون اعتبار للآخرين أو بمعزل عنهم ، وقد يؤدى تردد المستثمرين اليابانيين والألمان إزاء تمويل العجز فى ميزان المدفوعات إلى خلق حالة من الفوضى تسود الاقتصاد الأمريكى ، وكذلك ستكون لها اثار مختلفة ومتفاوتة فى جميع أنحاء العالم. وبالطبع من الواضح أن أى اضطراب فى أى نظام مالى ستكون له نتائج واقعية، وقد تصل إلى مرحلة خطيرة عندما ينتج عنها أو يواكبها أى نوع من البطالة والتضخم.

خامسًا: هناك خوف من أن تصبح مؤسساتنا الوطنية والدولية عاجزة عن متابعة الإيقاع فى التغيير. ففى الولايات المتحدة الأمريكية فشل الرئيس الأمريكى والكونجرس - بالرغم من العديد من المحاولات - فى خفض أو إحداث زيادة فى الضرائب بما يكفى لحل مشكلات الميزانية فى الولايات المتحدة الأمريكية. وفى عدد من الدول الأوروبية نجد أن عدد الأحزاب السياسية قد تضاعف بحيث لم يعد من الممكن تشكيل حكومة

أغلبية، ولعل كلاً من الدانمارك وإيطاليا وهولندا أفضل مثال على ذلـك. وإذا كنا فخورين بالموازنات والمراجعات التى تقوم بها النظم الديمقراطية إلا أننا يجب أن نعترف أنها فى الغالب تؤدى إلى ورطة.

ولقد ظهرت فى الوقت نفسه وسائل الإعلام التى ربما تعتبر أقــوى المؤسسات على الإطلاق، ولكنهـا لا تخـضع إلــى أى مراجعــات أو توازنات. وربما يكون تركيز وسائل الإعلام علــى المـشكلات الآنيــة والخطيرة يحول دون الوصول إلى الفهم الـشعبى الأفـضل للمخــاطر الحقيقية التى تواجه البشرية. وفى واقع الأمر فإنه بدلا من مساهمة وسائل الإعلام فى جذب الانتباه إلى القضايا المعقدة، إذ إنهــا تقــوم بتبـسيطها وبالتالى جعلها أمرًا تافهًا. فنجد معلقى التليفزيون يطالبون بتخفيض فورى فى التسلح بالرغم من أن هذا الهدف سيستغرق أعوامًا. وفى الوقت نفسه إذا ما جاءنا صيف بارد لعدة أعوام فإن وسائل الإعلام تفقــد اهتمامهــا بمشكلة الارتفاع فى حرارة الكون التى ستستمر تواجهنــا بــلا هــوادة، ونتيجة لذلك يمكن أن تتوقف الجهود السياسية التى تحث علــى مواجهــة هذه المشكلة.

إلى أين تقودنا هذه القضايا؟

لقد بلغ الثراء المادى فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا آفاقا لم يكن للإنسان أن يحلم بها منذ جيل واحد فقط، ولكن لم يتبع هذا الثراء أى

سعادة؛ إذ لا توجد بالضرورة علاقة وثيقة بين التقدم المادى والسعادة، رغم أن هناك حدا أدنى للتقدم المادى لا يمكن أن توجد السعادة بدونه، ويتمثل هذا الحد الأدنى فى عدة ظروف منها أن يصل العمر المتوقع للإنسان إلى ما يقرب من الستين عاما (كما هو الحال فى الصين) وأن تبلغ نسبة الوفيات فى الرضع إلى ثلاثين لكل ألف من المواليد الأحياء، وأن يتم القضاء على الأمية بسرعة، وبلغة الدولار فإن كل هذه الأمور يمكن أن تحدث عندما يصل متوسط دخل الفرد إلى حوالى ألف دولار فى السنة. وفوق هذا الحد الأدنى سالف الذكر يبدو أن العلاقة بين مستوى الدخل والسعادة علاقة طفيفة.

وقد أجرت مؤسسة جالوب استطلاعًا دوليًا فى عام ١٩٨٤ أشارت نتائجه إلى أن الناس فى البلدان الغنية أميل لأن يكونوا سعداء من أقرانهم فى البلدان الفقيرة ، كما بين الاستطلاع أيضا أن معظم الناس يعتبرون أن دخلا ضعف دخلهم الحالى مهما كان دخلهم يعتبر الدخل المثالى لهم.

ونجد على مدى الجيل الأخير أن سكان أوروبا قد ضاعفوا دخلهم، كما أنهم قد لبوا كل احتياجاتهم وأكثر، ولكن ذاكرة البشر ضعيفة، والناس منشغلون الآن بالإحباط الناتج عن البطء النسبى فى النمو الاقتصادى فى السنوات الأخيرة.

وتعد التجربة الإسكندنافية تجربة مثيرة فى هذا الصدد، فلقد انطلقت التنمية المادية الإسكندنافية فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر، ولقد

شكلت الصحوة الدينية التى حدثت فى ذلك الوقت أحد العوامل المهمة والمساعدة فى التنمية المادية ، إذ بدأ الناس العاديون يتعلمون قراءة الإنجيل مما أدى إلى زيادة عدد القادرين على القراءة والكتابة وبالتالى إلى الارتفاع فى الإنتاجية.

ولكن مع بروز الحركات العالمية بدأت الغايات الجمالية والثقافية والدينية تتراجع بينما أخذت الغايات المادية تحتل مركز الصدارة؛ فلقد بدأت الحركات العالمية، ومنذ أيام الكساد، تركز غاياتها فى الوصول إلى ساعات عمل أقل وظروف عمل أفضل والحصول على أجور أعلى، وهى تطلعات مادية كلها بالطبع، ولقد تم الوصول إليها وأكثر منها مع حلول عام ١٩٧٠ ، إلا أنه تبع ذلك إحساس بالفراغ؛ حيث أصبح معظم الناس وخاصة الشباب يجدون صعوبة فى أن يجدوا معنى لحياتهم. وربما كانت الثقافة الغربية متأثرة بنتائج التكنولوجيا الحديثة بشكل مبالغ فيه، وميالة إلى حد كبير إلى تمجيد العلم والتكنولوجيا، وترى أنهما الحقيقة الوحيدة الموجودة. ولكننى أعتقد أن مثل هذا الإيمان المادى البحت يهدد بقاءنا. ويجب أن يكون لدينا وعى شعورى بمدى جهلنا بالوضع الذى نحن فيه وكذلك بالطريق الذى نتجه إليه.

كما يجب أن ننتبه إلى أننا قد جمدنا أنفسنا فى داخل نموذج علمى واحد Scientific paradigm وهو الأمر الذى قد يؤدى إلى إلغاء احتمال وجود نماذج أخرى مختلفة جذريًا عنه، وبالطبع لا يمكن لأى عالم

حقيقى أن يفعل ذلك، كما يجب أن نعى ضرورة المضى قدما فى الجهود العلمية المبذولة، ولكن بطريقة العلماء الحقيقيين أى من خـــلال العقـــول المتفتحة والمتواضعة.

منع الكارثة وحماية المستقبل:

ما الذى يمكننا أن نقوم به بالنظر إلى المشكلات التى تواجهنا؟

قد يقول الكثيرون بأن إصدار بعض القرارات السياسية والاقتصادية الواعية إلى جانب المزيد من التقدم العلمى سيتيحان للجنس البـــشرى أن يصل إلى حد الرفاهية والازدهار. ولكن يبدو أنه من الحكمة إدخال بعض التغييرات فى سلوك الحكومات والمؤسسات والأفراد، بحيث تكون هـــذه التغييرات من النوع الذى لا يعوقنا عن الوصول إلى مزيد مـــن التقـــدم، وبالتالى يمكن أن يساعدنا على تجنب غروب الآلهة، حيث إنه لو حـــدث ذلك فإنه سيقودنا لا محالة إلى حرب نووية وإلى دمار بيئى محقق.

ما المعايير الواجب الاسترشاد بها عند تحديد التغييرات اللازمة؟

يجب علينا فى الأساس أن نعزز القيم التى يزداد الاتفاق حولها يومـــا بعد الآخر ونحافظ عليها، وتتمثل هذه القيم فيما يلى:

أولاً: يجب تأمين الاحتياجات الأساسية اللازمة للبقاء المادى.

ثانيا: يجب أن يعمل المجتمع بطريقة تكفل للناس الحفاظ على احترامهم لأنفسهم وشعورهم بالقيم، ويجب أن نعترف أن هذا هو الأمر الذى

فشل فيه المجتمع الغربى الحديث، وخاصة فى بلادى إسكندنافيا حيث يشعر كثيرون أنهم عديمو الفائدة ولا يشكلون أهمية فى تقدم المجتمع.

ثالثا: يجب حماية مجال الحرية الفردية المصحوبة بالمسئولية وتوسيع مجال هذه الحرية.

ما الأفعال اللازمة للحفاظ على هذه القيم الأساسية وتعزيزها؟

دور الحكومات الغنية والفقيرة:

من أولى مهام البلدان المتقدمة أن تضمن أن الإنسانية لن تدمر نفسها فى محرقة نووية Nuclear-holocaust وهذا يعنى فى النهاية أنه يجب إلغاء الأسلحة النووية، ومازال حتى الآن الطريق طويل ومتعرج أمام محادثات الحد من الأسلحة الإستراتيجية، ولكن – مع ما حدث عام ١٩٨٩ – فإن الأمر يبعث على الرضا، ولذلك يجب أن ننوه بأن القوتين العظميين قد اتخذتا الخطوات المهمة الأولى على هذا الطريق. ويجب أن يكون واضحا فى أذهاننا أنه طالما بقيت أسلحة نووية موجودة على الأرض فإنّ بقاءنا مهدد، إما نتيجة للصراع بين القوى العظمى وإما من خلال استخدام الإرهابيين لهذه الأسلحة. ويتم حاليا إنفاق ما يوازى عشرين ضعفا على تدمير أنفسنا بما فى ذلك ما ننفقه على الأسلحة التقليدية، وذلك بالمقارنة بما ينفق لاحتواء وتبنى التقدم الاقتصادى

والاجتماعى فى البلاد النامية. وبالطبع فإن إنفاق قدر أكبر من الدولارات فى مجال التنمية قد يؤدى إلى تعزيز الأمن بصورة أفضل من تلك التـــي يحققها إنفاق هذه الدولارات على السلاح.

أما ثانية مهام "البلدان الغنية فتتعلق بزيادة كفاءتهـــا فـــى اســـتخدام الموارد النادرة. ويعتبر القيد النهائى على استخدام الموارد هـــو قـــدرات الأرض الموجودة؛ إذ يجب ألا يتجاوز استهلاك الفرد من الموارد المتاحة المستوى الذى تستطيع الأرض تقديمه بشكل ثابت لكل سكانها. ويلاحـــظ أنه فى الوقت الحالى نجد أن نسبة استخدام الأفراد للموارد المتاحة فـــى البلدان الصناعية لا يمكن توفيره أو استمراره بشكل ثابت لكـــل ســـكان الأرض. وبالرغم من صعوبة توفر الدقـــة اللازمـــة لتقـــدير القـــدرات الموجودة فى الكون لإطعام السكان الموجودين عليه توجد تقديرات قامت بها مؤخرا اللجنة الدولية للبيئة والتنمية International commission on development and environment وهذه التقديرات توضح أنه فى مقدور الكون أن يطعم حوالى ٥٠٠ مليون شخص فقط إلى ما لا نهايـــة، وذلك باستخدام مستوى الدخل والتقدم التكنولوجى الموجـــود حاليـــا فـــى الولايات المتحدة الأمريكية. ولكن إذا استخدمت هذه الموارد بحكمة أكبر كما يحدث فى أوروبا واليابان فقد يصبح الكون قادرا على إطعام بليـــون شخص إلى مـــا لا نهايـــة. ويقـــدر الـــديمجرافيون (علمـــاء الـــسكان) Demographers أنه إذا ما استمرت الاتجاهـــات الحاليـــة فـــى النمـــو

السكانى، فإن سكان العالم والذين يقدرون الآن بخمسة بلايين* سيستقر عددهم خلال القرن الحادى والعشرون ليصبحوا ما بين تسعة واثنى عشر بليون شخص. وفيما يتعلق بالاستخدام الكفء للموارد، فإنه يجب على البلدان الغنية أن تتخذ ثلاث خطوات، تتمثل فى ضرورة المجاهدة بحزم من أجل الاستخدام الأفضل للموارد المتاحة، و تجنب تلويث الموارد التى لا يكمن إعادتها إلى ما كانت عليه مثل الهواء والماء والتربة الصالحة للزراعة، واتخاذ إجراءات فورية وحاسمة لمساعدة البلاد النامية على التنمية الاقتصادية.

وبالرغم من أن المسئولية الرئيسية عن التنمية تقع على عاتق البلاد النامية نفسها إلا إنها لا تستطيع القيام بها وحدها. فالبلاد النامية ذات الدخول المنخفضة (تلك التى يزيد فيها الدخل السنوى للفرد على خمسمائة دولار) من المحتمل أن تصل إلى مستويات معيشية مقبولة إذا ما استمرت إمكانية إتاحة الفرصة لها للاستثمار التجارى والتصدير إلى أسواق البلاد الغنية. أما البلاد النامية ذات الدخول شديدة الانخفاض (تلك التى يقل فيها الدخل السنوى للفرد عن خمسمائة دولار وهى معظم بلاد صحراء جنوب أفريقيا وأكثر البلدان فى أسيا فقرا) فستحتاج هذه البلاد إلى مساعدات مالية مستمرة بشروط ميسرة ولعدة سنوات قادمة.

---

* تشير كل التوقعات إلى ان عدد السكان فى العالم سيصل إلى حوالى ٨,٣ بلايين نسمة مع حلول عام ٢٠٢٥. (المترجم)

هذا وتوجد دوافع أخلاقية قوية لزيادة هذه المساعدات وذلـك عـن طريق خفض متوسط استهلاك الفرد وتحويل هذه المدخرات إلى الفقراء، ومن الممكن أن يأتى هذا الانخفاض فى الاستهلاك بطريقة طواعيـة، أو أن يأخذ شكل ضريبة عالمية. وبينما يقول الكثيرون إن فرصـة فـرض ضريبة عالمية أمر غير ممكن، فإن الاعتقاد نفسه بعدم الإمكانيـة كـان سائدا فى القرن التاسع عشر بالنسبة لفرض ضرائب على الدخل، وهـى الآن – كما نعرف – أمر متعارف عليه في كل مكان فى العالم، وأعتقـد أن المساعدات الموجهة للتنمية تعتبر بشكل ما نوعًا من الضريبة العالمية. وذلك على الرغم من أن مقدارها بسيط جدا، إذ يصل معـدلها إلـى مـا يوازى ٠,٣٦٪ من الدخل القومى للبلدان الغنية، وذلك على عكس النسبة التى خصصتها الولايات المتحدة الأمريكية لتمويـل مـشروع مارشـال Marshal Plan عام ١٩٤٧ والتى كانت تبلغ ٢,٥٪ من الدخل القـومى فى ذلك الوقت. والسؤال الآن هو هل يعد إغراقا فى الخيال أن نفكر فى أن المعدل الذى حققته الولايات المتحدة الأمريكيـة عـام ١٩٤٧ قابـل للتحقيق اليوم؟ وخاصة بالنظر إلى انخفاض التوتر الدولى النـاتج عمـا يحدث فى بلاد أوروبا الشرقية؟ إن ألمانيا الغربية ستتجاوز هذه المعدلات فى معونتها لألمانيا الشرقية*. ولذلك أيضا نتساءل: لماذا لا يبذل علـى مستوى العالم جهد مالى مماثل؟

---

* من المعروف أن ألمانيا الشرقية والغربية أصبحتا دولة واحدة بعد هدم سور بـرلين. (المترجم)

وبصرف النظر عما تقوم به البلاد الغنية فالحقيقة باقية، ومفادها أن الترابط والاعتماد المتبادل Interdependence بين بلاد العالم آخذ فـــى التزايد؛ حيث يرتبط العالم مع بعضه الآن من خـــلال وســـائل الإعـــلام الحديثة والتجارة التى تربطه برباط أوثق مما حدث فى أى وقت مـــضى. فعلى سبيل المثال إذا أدى سوء المحصول فى الاتحاد السوفيتى إلـــى أن تبيع الولايات المتحدة كمية أكبر من الحبوب للسوفييت، فإن سعر الغـــذاء سيزيد على مستوى العالم كله، ومن المحتمل أن يعانى عامل غير مالـــك للأرض فى بنجلاديش جوعا أشد مما عرفه من قبل.

وفيما يتعلق بالبلاد النامية يجب أن يظل شغلها الشاغل هـــو تلبيـــة الاحتياجات الأساسية للسكان فيها. فمن غير المحتمل أن تتحقق الحريـــة واحترام الذات طالما لم تتم تلبية الاحتياجات الأساسية. ولقد مضت فـــى هذا الطريق العديد من البلاد النامية فى أمريكا اللاتينية وشرقى آسيا حيث حققت خطوات طيبة نحو الوصول إلى هدف الوفاء بالاحتياجات الأساسية لسكانها، ولكن مازالت معظم البلاد فى صحراء جنـــوب أفريقيـــا وبـــلاد جنوب آسيا بعيدة عن تحقيق هذا الهدف.

ويمكن تحقيق الوصول إلى هذا الهدف بسهولة إذا ما تـــم تخفـــيض معدلات النمو السكانى، وعلى ذلك فإن تخفيض المعـــدلات فـــى النمـــو السكانى له أهمية خاصة وحيوية بالنسبة للبلاد النامية. فبينما يعتبر الكثير من المتزوجين فى البلاد الغنية أن تكوين أسر صغيرة أمر فى مصلحتهم، نجد أن الكثير من المتزوجين فى البلاد النامية يشعرون أن إنجاب عـــدد

كبير من الأطفال سيوفر لهم الاحتياجات الحالية من العمالة للعمل في المزارع بالإضافة إلى تحقيق الأمان في المستقبل، ولذلك فإنه يجب على السياسات الحكومية أن تعنى بضرورة تخفيض وإبطاء معدلات النمو في السكان.

ورغم ضرورة إحداث التنمية الاقتصادية في البلاد النامية على وجه السرعة فإن القضايا المتعلقة بحماية البيئة يجب أن تلقى هي الأخرى اهتمامًا مماثلاً. ولكن حيث إنّ البلاد الغنية أكثر البلاد مساهمة في إحداث التلوث في العالم فإنها تعتبر مسئولة كلية عن منع تدهور البيئة وإبادة المخلوقات.

دور البنك الدولي:

يعتبر البنك الدولي واحدا من المؤسسات العديدة التي تتعامل مع المشكلات المطروحة في هذا الصدد. وتحدد مواد الاتفاق الخاصة بالبنك حدود تعامله في نطاق قضايا العالم الاقتصادية، وعلى ذلك فهو لا يستطيع المشاركة في الجدل السياسي المتعلق بالأسلحة النووية أو ضعف المؤسسات الديموقراطية*، ولكنه يستطيع أن يقوم، بل إنه يقوم بالفعل

* من المعروف أن الاتجاهات الجديدة للبنك تتمثل في تشجيع التعامل مع مؤسسات المجتمع المدني بكل أشكالها. (المترجم)

بدور حيوى فى تخفيض النمو السكانى فى البلاد النامية، وكذلك بالنسبة للقضايا المتعلقة بحماية البيئة من الاستغلال المفرط. وبينما قد يكون أمرًا مرغوبا فيه أن يقوم البنك الدولى أيضًا باتخاذ موقف فعال من القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان فإنّ الالتزام الدقيق بالتعامل مع المبادئ الاقتصادية كان لصالح البنك والمجتمع الدولى ككل. ويعتبر أمرًا مخجلاً أن تقوم البلاد الغنية الأعضاء فى البنك الدولى بإرغامه على القيام بانتهاك مبادئه وذلك عندما تقرر حرمان الصين* من الحصول على القروض من البنك الدولى.

ويعتقد البنك الدولى أن معدلات النمو السكانى المرتفعة وخاصة فى بلاد أفريقيا تمثل عقبة رئيسية فى سبيل الوفاء بالاحتياجات الرئيسية للسكان فى أشد البلاد فقرا. ولذلك فإن البنك يلتزم بتأمين نمو طويل الأمد لمعدل دخل الفرد بحيث ينتشل تلك البلاد من حالة الفقر التى تعيشها. ولكن وفى الوقت نفسه يشكل وعى الكثير من السكان فى البلاد التى يتعامل معها البنك الدولى معتقدات مختلفة مثل الديانة الإسلامية والعقيدة الكاثوليكية، ولذلك يجب على البنك الدولى أن يكون حذرا وصبورا فى تعامله مع قضية السكان، هذا ولقد كانت السياسة السكانية التى تبنتها

---

* تغيرت أوضاع تعامل البنك مع بعض الدول ومنها الصين بحيث أصبح يعطى قروضا للصين مماثلة لبقية دول العالم. (المترجم)

الصين من أنجح السياسات فى العالم، وذلك بتركيزها الفورى على موانع الحمل وتطبيق الإجهاض وبرامج التعليم الخاصة للبنات والنساء، وذلك بالرغم من أنها كانت مثيرة للجدل ومؤلمة. ولعل ذلك يعطينا الفرصة لفهم أن الألم القصير الأمد غالبا ما يكون ضروريا لتحقيق المكاسب طويلة الأجل.

ولذلك فإنه يجب على البنك الدولى ، ومن خلال قروض التعديل الهيكلى للقروض وكذلك القروض المباشرة لبرامج الإسكان، أن يمارس بعض الضغط على الحكومات لتضع لنفسها أهدافا فيما يتعلق بمعدلات النمو السكانى تتماثل مع ما تبناه الصينيون. وبالطبع من الممكن أن تكون الوسائل المستخدمة لتخفيض برامج السكان أقل فى شدتها من تلك التى استخدمت فى الصين، وأن تركز بقوة أكبر على برامج تعليم البنات والنساء؛ إذ إنه بدون إحداث تخفيض هائل فى معدلات النمو الحالية للسكان فسيستمر البؤس الموجود حاليا فى أشد البلاد فقرا.

ولقد بدأت مشاركة البنك الدولى فى المناقشات والمحاورات حول البيئة فى فترة متأخرة نسبيا، ولذلك فإن عليه أن يتحمل نصيبه من اللوم فيما يتعلق بالأخطار السابقة. ولكن – فى الوقت الحالي – يتجه البنك الدولى للمشاركة فى أكبر قضايا البيئة، ولديه الخبراء الفنيون فى هذه القضايا سواء فى مقره الرئيسى أو فى مكاتبه الإقليمية. ولقد استحدث

البنك إدارة خاصة للبيئة وتتلخص مهمة هذه الإدارة فى تقـديم المـساندة الفكرية على مستوى واضعى السياسات، كما تتزايد مساندة البنك الـدولى فى دعم المنظمات غير الحكومية التى تتعامل بنشاط مع القضايا البيئية.

وبالرغم من كل ذلك فستظل فعالية البنك فى مجال حـل المـشاكل البيئية محدودة وكذلك تأثيره فى هذا المجال، ويرجع ذلك إلى أن الـبلاد الغنية هى من أكثر البلاد تلويثا للبيئة، ولـيس للبنـك أى تـأثير علـى سياستها. وبينما يمكن مثلا الحد من عمليات التصحر وإزالة الغابات فـى البلاد النامية عن طريق قيام البنك بتقـديم المـساعدات، إلا أن ظـواهر أخرى تعتبر مدمرة مثل ظاهرة الأمطار الحمضية Acid Rain وتـأثير الـ Greenhouse effect على استهلاك الوقود الحفرى Fossil وتآكل طبقة الأوزون، وستستمر هذه الظواهر ما لم تتخذ البلاد إجراءات حازمة لمعالجتها. وقد تم الوصول إلى معدلات نمو سكانى أقل فى بيئة محـسنة نتيجة للحوار حول السياسات وتقديم المساعدات الفنية والمالية، وذلك إذا ما وافق كل من البنك الدولى والبلاد المقترضة علـى اتخـاذ سياسـات ملائمة. ولكن لا يمكن الوصول إلى هذه الغايات إذا عجز الفقراء عن فهم الرسالة بسبب انتشار الأمية، ولذلك فإن التعليم يعتبر شـرطا ضـروريا للتغيير. ولقد قضيت ثمانية أعوام من التسعة عشر عامـا التـى عملـت خلالها فى البنك الدولى فى مشروعات تتعلق بالتعليم فى أفريقيا وشـرق

آسيا. والشعور الذى خرجت به من هذه التجربة بخصوص تحديث فى أفريقيا يتمثل فى "الضآلة الشديدة والتأخر الشديد"، حيث تتزايد الأعداد الإجمالية للأميين بالرغم من الزيادة فى نسب الملتحقين بالمدراس الابتدائية. فالحكومات الإفريقية لا تستطيع ماديا أن تواجه مسئوليتها تجاه الأعداد المستمرة فى الزيادة من الأطفال. وحين لا يتلقى الأطفال أى تعليم فهذا يعنى أن معدلات النمو السكانى ستبقى مرتفعة فى الجيل القادم. وعلى ذلك فإن توفير التمويل اللازم لنظم التعليم الأفريقية يعتبر أمرا فى صالح الجميع، وذلك حتى يمكن كسر هذه الحلقة الجهنمية وضمان التعليم لجميع الأطفال.

ولقد تم كسر هذه الحلقة فى شرق آسيا وتميل الآن معدلات النمو السكانى إلى الانخفاض، ويرجع ذلك جزئيا إلى توفير تعليم أفضل للبنات. ففى إندونسيا مثلا حيث زادت نسبة التحاق البنات بالمدارس الابتدائية من ٦٥٪ عام ١٩٦٥ لتشمل كل البنات فى أواخر الثمانينيات نجد أن النمو السكانى انخفض من حوالى ٣٪ إلى ١,٧٪ على مدى الفترة الزمنية نفسها. وكذلك يحقق التعليم وعيا بيئيا أفضل وخاصة فى الصين.

قوة العمل الفردى:

فى النهاية نحن بصدد إما إقامة حضارة إنسانية وإما دفنها، وإن كانت هذه مقولة قوية إلا إن الوضع الحالى حيث توجد دول منفصلة

وأديان منفصلة وعقائد متفرقة يجعل الظروف غير مواتية لمتطلبات التنمية المستدامة.

كما أن الحكومات غير قادرة هى الأخرى على حل المشكلات الاقتصادية التى تؤرقها والتى تزداد حدتها. هذا ولن تتمكن أى سياسة اقتصادية من أن تحقق نجاحا طالما استمرت الجماعات ذات المصالح فى المقاومة ورفض تقديم أى تضحية كحل للمشكلات التى تؤثر على الجميع. إن الأمر يتطلب فى الغالب إحداث تغييرات هائلة فى أساليب الحياة والعادات والاتجاهات التى ينتهجها عدد ممن تتوفر لديهم الشجاعة والقوة؛ إذ يمكن لمجمل خيارات الأفراد وأعمالهم أن يشكل قوة دافعة لإحداث التغيير.

وليس من المحتمل أن يؤدى التركيز الحالى الذى ينصب على تحقيق التقدم إلى خلق هذا النوع من الأفراد الذى نحتاج إليه، وكذلك الإصرار على أن القول بأن التقدم المادى الفردى هو الطريق إلى السعادة سيؤدى إلى الفشل حتما، وذلك لأن الحكومات الغربية لم تعد قادرة على ضمان مثل هذا التقدم، ولأن السعادة لا تأتى بالضرورة نتيجة للرفاهية المادية. إن التغيير فى أسلوب الحياة ليس أمرا ضروريا فقط، ولكنه أيضا مطلوب لمنفعة الفرد. والسؤال الآن هو: هل يمكن لهذا التغيير أن يحدث؟ ومن أين سيأتى؟

الإجابة على هذه الأسئلة تكمن ربما فى الإيمان بالــدين والإيمــان بقدرة الفرد على مواجهة المشكلات كلما ظهرت. ولقد توقف عدد كبيــر من الأمريكيين عن التدخين خلال السنوات الأخيرة وتحولوا إلـــى نظـــم غذائية صحية أكثر من تلك التى اعتادوا عليها، كما بدأوا فـــى ممارســـة الرياضة بشكل منتظم، وتدل هذه الأمثلة - على الرغم من أنها بسيطة - على أن الأفراد قادرون على تغيير أسلوب حياتهم، وتنشأ لديهم الرغبـــة فى ذلك حينما يقتنعون بأن ذلك فى مصلحتهم.

إن إحداث تغيير جذرى فى أسلوب الحياة بصورة أكبر مـــن ذلـــك يمكن أن يؤدى إلى إحياء ممارسة عادة الصوم القديمة. فهناك ملايين من البشر فى البلاد الغنية يرغبون فى تخفيض أوزانهم، ولذلك فبـــدلا مـــن ضياع الأموال على هوس النظم الغذائية من الممكن أن نحذو حذو أجدادنا الذين كانوا يتوقفون عن تناول الطعام بعد أخذ كفايتهم منه.

وإذا كانت الجهود الفردية التى تضع الاستهلاك عند مستوى قابـــل للثبات على أسس عالمية جهودًا محمودة وصحية، فإن الفوائد المرجـــوة من هذه الجهود يجب ألا تكون السبب الرئيسى فى القيام بها، حيث يوجد خطر نرجسى من انشغال الفرد بنفسه وبالجهود التى يبذلها لتحسين نفسه. فالدافع هو الوصول إلى مدخرات مادية يمكن استخدامها فى عمـــل يفيـــد المجتمع الدولى. ولذلك فإن الجهود الفردية يجب أن تـــستغل مـــن أجـــل

العمل الجماعي ، وفي النهاية من أجل العمل السياسي. ويمكن للجيران الصوم معا على أن يهبوا المال الذى كانوا سينفقونه على الطعام لوكالة خاصة ذات برامج للمساعدة ومخصصة للبلدان النامية. وحين يرتفع مستوى وعيهم فسيكون بإمكانهم الضغط على الساسة المحليين لزيادة المعونة الاقتصادية للبلاد النامية. كذلك يمكن أن يعبر الناس عن اهتمامهم بالبيئة من خلال قيامهم بعمليات تنظيف الحى الذى يسكنون فيه، وبذلك فإنهم سيدركون كم القمامة التى تخرجها المنازل، ومن ثم سيدركون كيف أن بلادهم تلوث الدنيا كلها. ولربما يمكن أن يؤدى هذا الإدراك إلى أن يقوموا بضغط ما على المستوى السياسى. وأعتقد أن الناس فى البلاد الغنية يتمتعون بامتيازات تفوق الخيال، وأكبر خطيئة ألا نكون واعين بما لدينا من امتيازات أو غير قادرين على الاستمتاع بها. ويستطيع الباحثون عن معنى الحياة أن يجدوا بعضا من هذا المعنى عند التركيز على استيعاب المشكلات الهائلة التى يعانى منها الناس فى البلاد الفقيرة. ولقد ساهم الشعور الذى كان موجودا فى الماضى بأن أبناء الجيران لهم أيضا الحق في الطعام والتعليم ومستوى معيشة أفضل فى إحداث تقدم مادى لأمم كثيرة، ولعل الوقت قد حان ليمتد الشعور بالتكافل ليشمل العالم كله.

ويعتقد الكثيرون ممن يؤمنون بالمستقبل فى الغرب أن مزيدا من التقدم في العالم والتكنولوجيا وخاصة في مجالات الاتصالات سيؤدى في

النهاية إلى حل مشكلاتنا الاقتصادية، وهم يرون أن الإنسان الآلى سوف يقوم بكل الأعمال الميكانيكية، ولكننى لا أعتقد أن ذلك أمر محتمل، إن كنت آمل فى أن تساعدنا تكنولوجيا المعلومات على اكتساب فهم أعمق للمشكلات. ولأن العقول البشرية دائما ما تركز على متغير واحد فى وقت واحد فإننا نميل إلى إرجاع كل مشكلاتنا إلى سبب مفرد، وذلك كما يحدث مثلا فى قضايا التضخم أو الأعباء الضريبية أو الشيوعية. ولكن عندما يشيع استخدام الكمبيوتر بطريقة أكبر فقد تساعدنا قدرته على تحليل التأثير الفورى لعدة متغيرات فى الوقت نفسه؛ مما يؤدى إلى تكوين آراء أقل تبسيطا. ويشهد المجتمع الحديث انقساما بين الصفوة الذين يفهمون التقدم ويشجعونه وبين العامة الذين يتزايد شعورهم بالإحباط والارتباك والتخلف عن الباقين. ولكن إذا ما أصبحت التكنولوجيا متاحة على نطاق واسع فالامل معقود أنها يمكن أن تضيق هذه الفجوة وتجعل المجتمع الحديث أكثر قدرة على الاستمرار.

كذلك فإن الأفراد فى البلاد النامية عليهم مسئوليات ولديهم فرص للتأثير على مصير الإنسانية. وعلى القادة المتعلمين أن يقرروا كيف يريدون للمستقبل أن يكون. فهناك اقتراحات بخصوص تأسيس نظام اقتصادى جديد يشتمل على خطط لتحقيق الاستقرار فى أسعار السلع وإنشاء بنك مركزى دولى، ولكن هذه الاقتراحات تفتقر إلى حسن الإعداد، كما أنها لم تعالج إلا المشكلات الاقتصادية فقط.

ويجب ألا تكون القضايا الاقتصادية محور الانشغال الوحيد لقادة البلاد النامية، حيث يمكن أن تتحول الأحلام الاقتصادية إلى كوابيس بسهولة، ولا أعتقد أنه من المحتمل أن تلحق البلاد النامية بالبلاد الغنية اقتصاديا. كما أن هذا أمر غير مرغوب فيه أيضا. أما الأمر المرغوب فيه بل والضرورى فهو تحقيق بعض الضمانات لتلبية الحاجات المادية الأساسية للجميع. وبمجرد الوفاء بتلبية هذه الاحتياجات الأساسية التى ستضمن استمرار البشرية وبقاءها ، فإن الاحتياجات الروحية يجب أن تكون الشغل الشاغل لعقول القادة فى البلاد النامية والمتقدمة على السواء.

وتستطيع البلاد النامية المساهمة بالكثير من الأشياء المختلفة والمتنوعة للمستقبل. فمن بين الشروط الضرورية لإحداث التطور وجود ثقافات ولغات متنوعة. وليس من المحتمل أن تصبح الثقافة الصناعية الإنجلوسكسونية التى تسيطر الآن على كل العالم أفضل نموذج للحفاظ على الإنسان وبقاء الجنس البشرى كله. فبينما يملك التصنيع القدرة على توفير ظروف وجود مادى لائق لكل سكان العالم ولأول مرة فى التاريخ، فمن المشكوك فيه أنه يستطيع أن يعطى أكثر من ذلك. حيث إن نجاحه قائم على تصور مماثل للتصور الآلى النيوتونى للعالم، ورغم أن هذا التصور للعالم مفيد من حيث إمكانية تطبيقه واستخدامه، فإنه من المحتمل أن يكون ضارا بالعالم فيما يخص بقاءه واستمراره؛ فكل علوم الفيزياء

والأحياء والفلسفة الحديثة تميل كلها فى اتجاه المعتقدات القديمة فيما يتعلق بالتناسق والتناغم كمبدأ للاسترشاد به فى الكون، حيث إننا إذا لم نتعلم أن نحيا فى تناسق وتناغم مع بعضنا البعض فإن الفناء سيكون مصيرنا المحتوم.

ونتساءل الآن هل الموقف الذى تواجهه البشرية يعد أخطر ما واجهته من مواقف على الإطلاق؟ لقد بدأ جرميا Jeremiah فى الاستغاثة منذ ٢٥٠٠ سنة ومازالت الدنيا باقية. ولكن ربما تكون الأخطار التى نواجهها الآن أعظم من أى أخطار واجهتها البشرية من قبل. وأعتقد أنه من المحتمل أن يقوم الأفراد بتغيير سلوكهم وسلوك مجتمعاتهم، لا لأن العالم قد يكون مهددا بالخطر، ولكن لأنهم فى الحقيقة سيكونون أسعد حالا إذا ما انتهجوا أسلوب حياة لا يركز فقط على إشباع المتطلبات المادية وحدها.

ربما أصاب علماء الاقتصاد الذين يقولون إن المشكلات الراهنة مثل مشكلات البيئة واستنفاد المصادر المتاحة والفجوة بين الأغنياء والفقراء وبين الأمم يمكن أن تحل من خلال إثارة السوق ليعمل بطريقة أفضل، ولكن العالم الذى سينتج عن ذلك لن يكون عالما لطيفا ومبهجا، ربما سيكون أكثر غنى، ولكنه سيكون أكثر ازدحاما و قذارة وأقل تنوعا مما عليه الحال الآن.

ويميل علماء الاقتصاد إلى افتراض أن النـــاس لا يتغيـــرون إلا إذا لمسوا تحسنا ماديا لأنفسهم نتيجة لهذا التغيير. إلا إن التاريخ يكذب هـــذا الافتراض، فالمصلحون الذين كانوا أول من تحدث عن إلغـــاء العبوديـــة والاستعمار كانوا يعتبرون مثاليين يعيشون فى عالم من صـــنع خيـــالهم (طوباويين) ومع ذلك فقد تحققت آراؤهم.

وقد ينظر بعض المخلوقات من خارج الأرض إلينا على أننا سرطان يهدد الكوكب، وبلغة أكثر مادية فإن نمونا العددى والتهامنا لكل المصادر المتاحة فى العالم يجعلنا نبدو فى صورة سرطانية. ولكننا أكثر من ذلك؛ فنحن مخلوقات روحية؛ فلقد ألفنا موسيقى باخ، وأسسنا نظريات أينشتين ، وجاء إلينا بوذا ومحمد والمسيح ليبلغونا بمعنى حياتنا وغايتهـــا، وإذا مـــا اختفينا فسيشفق علينا حتى هؤلاء المراقبون من الخارج. وقد يخشون من عنفنا وفقداننا للبصيرة، ولكن إذا حدث و استطعنا أن نطلق ما لدينا مـــن قوى روحية فإننى أعتقد أنهم سيرحبون بنا لجدارتنا لأن نكـــون خلفـــاء يرعون شئون المستقبل.

رؤية مسلم لمجتمع التوازن والعدل

إسماعيل سراج الدين

نشأت فى بيئة حضارية متميزة يتمتع أفرادها بجميع أنواع الضمان المادى ويحتل فيها التوافق الاجتماعى مكانة عالية من جانب الآباء. كما تحتل الثقافة وما لها من مضمون حضارى أيضا منزلة مهمة فى هذه البيئة التى نشأت وترعرعت فيها. وإضافة إلى هذا المناخ الحضارى والمادى والثقافى فإن مواصلة البحث عن المعرفة كانت تحتل أيضا فى هذه البيئة مكانا مرموقا على أوسع نطاق ممكن، وذلك من أجل الحصول على المعرفة من مصادرها. ولقد كان يسود هذه البيئة التى نشأت فيها مع أختين لى ملمح ثقافى آخر مهم يتعلق باللغة باعتبارها أهم وسيلة للاتصال؛ حيث يستطيع جميع أفراد أسرتى القراءة والاطلاع فى كل أو معظم مصادر المعرفة سواء أكانت أصولها باللغة العربية أم الإنجليزية أم الفرنسية. وبسبب هذه القدرات اللغوية التى يتمتع بها أفراد أسرتى كانت تسود بيننا مناقشات ذات مضمون فكرى قد تأخذ أحيانا أسلوب الحوار والمناظرة تحت إشراف الكبار فى الأسرة، لتأخذ مسارا ثقافيا وحضاريا إيجابيا فى مضمونها وطريقة إجرائها.

وكان مبدأ الدولية* Internationalism السائد فى ذلــك الوقــت متمما ومكملا لما كان لدى أسرتى من جذور عميقة فى مصر. كذلك فإن مبادئ حركة التنوير الفرنسية ونظـــام الحكـــم الدســـتورى البريطـــانى والكلاسيكيات وسارتر كانت كلها أشياء لها مكانتها لدينا، وذلك إلى جانب الفكر الإسلامى وتاريخ العرب والأدب والفن الإسلامى. وفـــى مرحلـــة تطور مفاهيمى وتصوراتى عن العالم لم يكن هناك فـــرق واضــــح بـــين مبادئ التسامح والقيم الأخلاقية الدينية وكأنهـــا لا تتميـــز عـــن بعـــضها البعض. أما بيتنا الذى كان مقاما على الطراز المعمارى الغربى الحديث، فكان يقدم آفاقا مختلفة ولكنها فى الوقت نفسه مكملة لما نشاهده حولنا فى مصر، فالأثاث كان يحمل طابع عصر من عصور فرنسا، وتلك لوحـــات زيتية من ألمانيا، وهذه صور لمناظر الطبيعة فى ريف أوروبا بأشجارها وسحبها الكثيفة المتلاطمة، وذلك إلى جانب الأعمال الفنية مـــن الـــشرق الأقصى. فقد كانت تركيا وإيران تشتركان معا بالنسبة لنا فى تشكيل آفاق لعالم بعيد يثير شهيتنا المفتوحة للاستكشاف ورغبتنا فى تذوق الجمال.

ولقد اخترت دراسة الهندسة المعمارية وأنا فى سن مبكـــرة ســـائرا على نفس النهج الذى سار عليه أبى وسبقتنى إليه أختى. ولقد تحولت من

---

* "الدولية" مبدأ يدعو إلى التعاون بين الدول وتناسى الخلافات القوميـــة، ويكـــون هـــذا التعاون بوجه خاص فى مجالات الاقتصاد والسياسة. (المترجم)

دراسة الهندسة المعمارية إلى دراسة مشكلات المدن، ثم الأقاليم، ثم أخيرا إلى دراسة مشكلات الدول ككل، وكان ذلك كله ينبع دائما من حرصى على تقصى وتتبع القضايا المحيرة والعمل على إيجاد الحلول والوسائل الممكنة لتحسين أوضاعها. فلقد انتقلت من دراسة الهندسة المعمارية إلى دراسة تخطيط المدن والأقاليم ثم إلى التنمية الاقتصادية ثم إلى مجال تنمية الموارد البشرية، ثم بعد ذلك إلى ممارسة عمليات المساعدات الدولية من أجل التنمية بالبنك الدولى، وكان ذلك تطورًا طبيعيًا ومنطقيًا، حيث انتقلت من كلية الهندسة بجامعة القاهرة إلى قسم الدراسات العليا بجامعة هارفارد، ثم ممارسة المهنة. ومنذ بداية اهتمامى منذ الصغر بالهندسة المعمارية صاحب ذلك افتتانى بعشق الجمال وحب التعبير الثقافى، وهو الأمر الذى جعلنى مرتبطا بالهندسة المعمارية خلال العشرين عاما الماضية عن طريق النقد والكتابة عنها فى الوقت الذى لم أكن أمارسها ممارسة فعلية. غير أن التزامى بقضايا التنمية الدولية أصبح تدريجيا هو القوة التى تسيطر على حياتى، سواء من الناحية المهنية أو كأسلوب حياة كما أفهمها كواحد من المؤمنين بدين الإسلام.

وفى معالجتى لقضايا التنمية الدولية انعكست خبرتى على قيم المذهب الدولى Internationalist values والنواحى العملية دون الآراء النظرية Pragmatic non-doctrinaire view للعالم وقضاياه الاقتصادية.

وبالرغم من أننى مصرى مسلم على المذهب السنى Egyptian Muslim of Sunni Persuasion فلقد تأثرت بعمق بالأفكار والممارسات الأوروبية. ولقد أثرى معرفتى بالمذهب الدولى تقديرى لتراثى والثقافة العربية والمصرية عن حق باعتبارهما جزءا من الثقافة العالمية. وأثناء دراساتى العليا تعرفت على الأفكار الاشتراكية بصفة عامة والماركسية منها بصفة خاصة. ولما كانت المساواة والعدل هما محور الأفكار الاشتراكية فقد كانت لهما جاذبية خاصة عندى، غير أننى وجدت أن الماركسية المادية Materialism of Marxism تتعارض مع التزامى الراسخ بالقيم الروحية. كما كانت الممارسات القمعية لبعض من أطلقوا على أنفسهم مسمى النظم الاشتراكية Socialist regimes تغرس فى نفسى بذور الشك نحو الأسس الأخلاقية لهذا المذهب. وعلى ذلك وبصفة عامة ظلت المثاليات التى تنادى بها الديمقراطية الغربية التى تدعو إلى الحرية الفردية والتسامح من الأمور الواضحة لدىَّ والتى كان لها الأثر الخارجى على تفكيرى.

وبالنسبة للمذهب الاقتصادى فقد كان لدى تحفظ مزدوج أو نوع من الشك Skepticism* بالنسبة لتأثير اليد الخفية فى السوق أو اليد القوية

---

* "الشكية" أو"الشكوكية" مذهب يقول إن المعرفة الحقيقة أمر لا يمكن الوصول إليه، أو إن المعرفة فى حقل معين تكون معرفة غير حقيقية أو لا يمكن التأكد من صحتها. (المترجم)

والمرنية بالنسبة للتخطيط المركزى. فلم يكن لدى الرأسمالية المتحررة أو التخطيط المركزى أى أساس لتشكيل الصيغة أو التوليفة السحرية لتقديم الحلول لمشاكل العالم سريعة التغير. فالحلول التى تم تطبيقها بنجاح فى الولايات المتحدة الأمريكية أو التى قدمت للتطبيق فى جمهورية الصين الشعبية لا يمكن بالضرورة أن تكون الصيغة الملائمة للآخرين، الذين تختلف لديهم المشاكل المتعلقة بالتنمية كما تختلف مدى البدائل المتاحة لهم اختلافا جوهريا.

كان هذا عرضا موجزا لآرائى التى حملتها معى فى مهمتى ومهنتى وأثناء القيام بعملى فى مجال التنمية الاقتصادية والتى رأيت أن أعرضها للمناقشة على جماعة صباح الجمعة بالبنك الدولى.

جنون العالم:

إن أى إنسان منطقى وعاقل يعيش ويستعرض حالة وشئون العالم اليوم لابد أن يروعه نمو ظاهرة عدم المساواة فى توزيع الثروة والدخل بين الدول والجماعات والأفراد. كما أنه لا يتم الاعتراف بأهم حقوق الإنسان الأساسية والجوهرية ، وقليلا ما تحترم هذه الحقوق. فالشك المتبادل والكراهية العلنية والصريحة يسودان باعتبارهما القوى المسيطرة فى الوقت الحاضر. ويتضافر الجشع والمشاعر العدائية بين الأفراد والجماعات مع القسوة وتحقيق المصالح الشخصية والتنافس بين الأمم.

فالبيئة وتراثنا ومواردنا تتعرض إلى استنـزاف وتدمير مسعورين لتحقيق المكاسب المادية، وذلك بالرغم من كل المحاولات التى تبذل لتجنب ذلك الدمار. ونجد أنه من النادر أن تتم معالجة حضارية لأى من هذه المشكلات أو يجرى تحكيم سلمى فى إطار القانون، ولكن الصراع المسلح هو الذى يبرز بحيث يصبح الأساس المفضل فى تحقيق أهداف الدول. ويزداد التهور بحيث أصبحنا اليوم نعيش فى ترسانة العالم النووية التى فيها من الأسلحة ما يكفى لتدميرنا جميعا عدة مرات. وإذا أمكن تخفيض ميزانيات الإنفاق العسكرى فى الدول النامية المتقدمة بنسبة ٥٪ فقط – بحيث يمكن توجيه هذه المبالغ إلى البلاد النامية – فإن تدفق المعونات من البلاد الغنية إلى البلاد الفقيرة سوف يتضاعف، ولذلك فإننى أتساءل عن أسباب هذه القبضة المجنونة التى تسيطر على الجنس البشرى: ألم يحن الأوان بعد أن مر العالم بتجربة الحربين العالميتين وذلك بخلاف العدد الذى لا يحصى من الصراعات الصغيرة، لكى يفيق الإنسان وينشئ المجتمع الدولى المؤلف من جميع أمم العالم؟ إن الواقع يقول إننا ما نزال سجناء لأفكارنا الحمقاء حتى الآن.

وبصفتى مسلمًا أعيش ما يدور من حولى على مسرح هذا العالم المشوش من أحداث، فإننى أشعر بالدهشة من هذه الخسائر التى تجلبها الإنسانية لنفسها وتتعرض لها، وخاصة تلك الخسائر التى تتمثل فى فقدان الروابط العالمية والتى من الواجب أن توجد بين كل البشر.

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" (الحجرات/١٣).

إن هذه الدعوة العالمية للأخوّة والتقوى ليست موجهة للمسلمين فقط، ولكنها موجهة إلى البشرية جمعاء. غير أن اللعنة التى حلت فى القرن العشرين على البشرية جاءت من خلال ما اعتنقته من دين جديد يفرق ولا يجمع ويتمثل فى القومية Nationalism المتطرفة والضيقة الأفق. إن كل أديان العالم الروحية والسماوية لديها إطار أساسى واسع من القيم الخلقية التى تدعو إلى خلاص البشرية ويؤكد على الشمولية العالمية Universality والتسامح. وهذا الأساس ظل حيا رغم المحاولات المضللة الكثيرة عبر الزمان والتي حاولت قهر الآخرين واستعمارهم واضطهادهم باسم الدين. وفى الواقع كانت هذه الحركات حركات سياسية تسعى إلى وضع بعض المذاهب فى قالب شرعى وتستخدم فى ذلك اسم الله.

والقومية الشوفينية Chauvinistic nationalism * حلت فى الدولة الحديثة على نطاق واسع محل الولاء المحدود للقبيلة، فنشأت فكرة "نحن" و"هم" فى الدولة الحديثة التى تحددها الحدود الجغرافية والتى

* المغالاة فى التعصب للوطن. (المترجم)

جاءت نتيجة لأحداث تاريخية وقعت أو نتيجة لأهواء بشرية. ولا يمكن أن نعتبر هذه القومية شكلا من التعبير الحضارى والضرورى لتحديد هوية الشخص، ولكنها فى الواقع مذهب عرقى نظرى ينادى بالدولانية Statist يهدف إلى تحقيق الكثير من المصالح القومية National interest لا إلى تحقيق المصالح البشرية. فلقد جلبت أسلحة دمار كثيرة باسم المصالح القومية وبشكل لم يسبق له مثيل، كما هددت الدول المجاورة أيضا بعضها البعض باسم المصالح القومية، كما كانت المصالح القومية من بين مبررات العديد من الحروب. إن البعد الأخلاقى الغائب تماما فى الأيديولوجية الخاصة بالدولانية أباح وبرر ارتكاب أكثر الجرائم بشاعة ضد الأمم سواء على الصعيد الخارجى بالنسبة للدولة أو ضد المواطنين داخلها ممن تحوم حولهم شبهة تهديد الأمن القومى للبلاد. وتعتبر هذه العقيدة عقيدة أنانية تؤدى إلى التمسك بشعار (بلدى على حق سواء أخطأت أو أصابت). فالقومية تعتبر قوة مدمرة نرى أثرها فى إدارة شئون العالم اليوم. ومما يؤسف له أنها، على ما يبدو، سوف تظل مسيطرة ومهيمنة على الشئون الدولية حتى المستقبل المنظور.

إن ضياع القيم الأخلاقية فى العالم يعتبر تحديا علينا أن نواجهه بأقصى ما نستطيع من قدرات. ولسوف يلجأ البعض إلى فرض القيم بقوة السلاح، غير أن الإكراه والقوة أمران غريبان أساسا وتماما عن الإسلام وإطار قيمه.

"لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم" (البقرة/٢٥٦).

والسؤال الذى نواجهه الآن هو: كيف نستطيع أن نتعامل مع هذا التحدى؟ فالمسلمون ككل ومن يوافقون على القيم الأخلاقية العالمية مدعوون لأداء دور مهم بين أمم وقبائل هذا العالم.

"وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم" (البقرة/١٤٣).

إن رسالة الإسلام تأمرنا بأن نساعد الإنسانية وبأن نكون شهداء عليها ولا نفرض بالقوة أو من خلال أوامر إمبراطورية شيئا على أحد. والشهادة هنا تعنى اتباع المثل الصالح الذى يمكن أن يحتذى. فالإسلام يقول لنا إنه يجب ألا يكون هناك اضطهاد أو قسوة ولا يجوز إجبار أحد على التحول إلى طريق بعينه. فالطريق الوحيد المفتوح أمامنا جميعا هو طريق العقل والتسامح واتباع المثل الأخلاقية العليا. فالمجتمع العادل والمتوازن الذى دعا إليه القرآن الكريم يمكن أن ينشأ من خلال تعامل كل منا مع ما لديه من مناطق ضعف.

"يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون" (المائدة/١٠٥).

وباعتبارى مسلما ينتمى إلى بلد نامية فإن علىَّ واجبَ محاولة استعادة القيم الروحية لتكون قيما هادية ومرشدة فى التعامل مع مشاكل التنمية. وإنه لمن المدهش والمؤسف فى الوقت نفسه أن نجد أن معظم الصفوة الحاكمة فى البلاد النامية تفسر التنمية على أنها عملية الوصول لتحقيق الثروة ومستوى المعيشة المماثل لما هو موجود فى المجتمع الاستهلاكى الغربى. والاحتمال الأرجح هو أن هذا الهدف فى معظم البلاد النامية هدف بعيد المنال ولا يتحقق إلا فى غير السيناريوهات التى تطرح للمستقبل والتى تكون متناقضة مع كل من العقل والواقع. ولقد أوضح روبرت مكنمارا Robert McNamara* عام ١٩٧٧ عدم معقولية هذا الهدف حيث رفض أن يكون مبدأ تضييق الهوة Closing the gap مقياسا لنجاح جهود التنمية حيث قال:

إن تضييق الهوة بين الدول الصناعية والدول النامية لم يكن فى المقام الأول فى أى وقت من الأوقات الهدف الحقيقى لنا. وحتى لو سلمنا بوجود فروق ضخمة فى القاعدة الرأسمالية والتكنولوجية الموجودة فى

---

* روبرت مكنمارا تولى رئاسة البنك الدولى خلال الفترة من ١٩٦٨ إلى ١٩٨١. (المترجم)

الدول الصناعية، وذلك بالمقارنة بما هو موجود فى الدول النامية لاتضح لنا أن هذا الهدف غير محتمل التحقيق أو أنه سوف يتحقق فى يــوم مــا بعيد. كما يتضح أنه لو استطاعت الدول النامية مضاعفة معــدل النمــو بالنسبة للفرد فيها، وفى الوقت نفسه ظلت الدول الصناعية على معــدلها القديم فى النمو، فإنه رغم ذلك لن تضيق الهوة تماما إلا بعد قــرن مــن الزمان. كذلك نجد أن سبع دول فقط من بين أسرع الدول النامية نموا هى التى ستتمكن من تضييق الهوة خلال مائة عام، بينما ستستطيع تسع دول أخرى تحقيق ذلك خلال ألف عام.

ورغم أن هناك شكا فى إمكانية تضييق الهوة، فإن الجهود المبذولــة لتحقيق ذلك أمر يستحق بذل الجهود المطلوبة له. لقد أثــارت الأبحــاث الجادة مزيدا من الشك حول إمكانية استمرار أسلوب الاستهلاك المتبع فى العالم الصناعى فى حالة قيام بقية البشرية بمحاكاته. وحتى بــدون هــذه الحقائق والاهتمامات العملية يجب علينا أن نعترف بأن كل ما يلمع لــيس ذهبا، وأن التنمية يجب أن يكون لها معنى أكبر مــن التــراكم المطلــق للبضائع العالمية. وبالرغم من أن التكنوقراطيين لا يــستطيعون تفــادى الاصطدام مع مجموعة القيم الخاصة بهم وذلــك عنــد قيــامهم بانتقــاء الاختيارات، فإن علم الاقتصاد لم يكن فى أى وقت من الأوقات – ولــن يكون فى يوم ما – غير متأثر بمجموعة القيم فى المجتمع، كما أنه لم تكن

له ولن تكون له قيم محايدة. ورغم وجود من يجادلون قائلين إن التحليل الاقتصادى يجب أن يعبر عن نفسه بلغة موضوعية تعتمد على الأرقام الواقعية والمجردة، فإن الحقيقة توضح أن مواصلة السعى للاعتماد على الأرقام المجردة بهذه الصورة يعتبر فقط سعيا وراء السراب، وذلك ينطبق حتى على بعض العلوم المجردة كعلم الأحياء وعلم التشريح. فالعلماء عندما يعملون ويفكرون ليسوا فى معزل عن نظام القيم الذى يحكمهم، كما أن معتقداتهم وقيمهم السابقة تتدخل فى أعمالهم ولها تأثير عليها وعلى ما يقومون به من تحليلات. لذلك فإنه ينبغي علينا أن نتمسك بالنزاهة والوضوح ونتجه نحو القيم التى تكفل الحقوق التى ندافع عنها ونؤمن بها.

الخلافة على الأرض Stewardship on the Earth:

إن أى اقتراح لبرنامج عمل تنفيذى يجب أن تتبع جذوره من نظام القيم الذى نؤمن به. وأعتقد أن نقطة الانطلاق لبدء العمل التنفيذى تتمثل فى تحديد الهدف من وجودنا على الأرض. وبعد تفكير وتمحيص طويلين فى العقيدة الإسلامية، فإننى أعتقد أن للإنسانية دورًا مماثلاً لدور الخليفة على الأرض. وينطوى تحقيق هذا الدور على اختبار يتطلب مواجهة الصعاب بالصبر والعمل. وأعتقد أن مفهوم الخلافة على الأرض يستحق بعض الاجتهاد لفهمه وتحديده وتفسيره. حيث يلعب هذا المفهوم دورا مركزيا فى تشكيل رؤيتى الروحية ومفهومى للتنمية المادية. ومن العجيب

والغريب أن هذا المفهوم لم يحظ بما يستحقه من البحث والاهتمام لدى علماء العقيدة والشريعة الإسلامية، وذلك على الرغم من أنه ذكر في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

فالكلمة العربية (خليفة Khalifa) (واستخلاف Istikhlaf) التي قمت بترجمتها إلى الكلمة الإنجليزية Stewardship ظهرت في كثير من الآيات والسور القرآنية، وقام بترجمتها كثير من العلماء البارزين بعدة كلمات أخرى مثل خليفة Vicregent للإله على الأرض أو المبعوث Agent أو الوارث Inherent أو Successor. أما بالنسبة لي فإنني أعتقد أن مفهوم الخلافة واللفظ الإنجليزي الذي اخترته لها يغطي الجوانب المتعددة لطبيعة مهمة الإنسان على الأرض؛ إذ الخلافة تعتبر مركزًا لكل عمل إنساني في الكون. والله سبحانه وتعالى هو الذي اختار أن يكون الإنسان خليفة في الأرض وخصه بهذه المهمة.

"وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون" (البقرة/٣٠).

بحيث يكون على الخليفة أن يتحمل مسئوليات خاصة لكي يرقى إلى مستوى ومفهوم الخلافة.

"ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون" (يونس/١٤).

كما أن التصرفات والسلوكيات المتوقعة من الخلفاء على الأرض قد تم التعبير عنها وتحديدها فى آية أخرى حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى داوود عليه السلام بقوله:

"يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب" (ص/٢٦).

وهذه الوصية الشمولية لكل العالم واضحة تماما فى اللغة العربية حيث إنَّ الكلمة التى استخدمت فى هذا المقام وهى الخليفة هى نفس الكلمة التى استخدمت للتعبير عن الوارث أو Successor فى آيات أخرى من القرآن الكريم تخاطب كل من يؤمن بالله سبحانه وتعالى:

"هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا" (فاطر/٣٩).

ولقد ارتبطت رحمة الله سبحانه وتعالى على عباده بحسن أداء الخليفة. كما أن التكليف بالخلافة ينتقل من جيل إلى جيل ومن جماعة إلى جماعة أخرى.

"وربك الغنى ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين" (الأنعام/١٣٣).

وإن الاضطلاع بمسئولية الخلافة يتضمن ويرتبط بجميع تصرفات المؤمن، وعلى هذا فهى بمثابة الجوهر الذى يحدد التصرفات السليمة للمسلم الحق فى جميع الأوقات. ولمفهوم الخلافة على الأرض أبعاد ثلاثة، وهى ممارسة المسئولية والتعرض للاختبار والابتلاء ثم تحمل المشاق فى صبر وجلد. كما أن المسئولية تجاه الله تتضمن المسئولية فى تحقيق الخير على الأرض وللمخلوقات الأخرى، بالإضافة إلى تحقيق الخير للآخرين من البشر فى الأجيال القادمة.وذلك كله بالإضافة إلى كون الخلافة نوعا من التعرض للابتلاء والاختبار.

"وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم" (الأنعام/١٦٥).

"قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون" (الأعراف/١٢٩).

ولقد أوضح التعرض لاختبار البلاء أن العبادات الحقيقية تعد ذات أهمية أكبر من تكرار الكلمات فى الصلوات.

"وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى

لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومــن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون" (النور/٥٥).

ولأن المؤمنين سوف يحاسبون على أعمالهم، فإن تصرفاتهم يجــب أن يحكمها الضمير، لا القوانين فقط. ولذلك فإن على المؤمنين أن يتأكدوا من أن أعمالهم عادلة وليست ظالمة، وأنها صواب وليست خطــأ، حتــى ولو كانت هذه الأعمال التى هم بصددها أعمالا مشروعة.

وأخيرا فإن مفهوم الخلافة يعنى أنه يجب على البشرية أن تتحمــل المصاعب فى صبر واحتمال دون أية سلبية أو تعــصب. **"لقــد خلقنــا الإنسان فى كبد"** (البلد/٤).

ويعتبر ذكر المصاعب هنا بمثابة الدعوة إلى العمــل التنفيــذى دون توقع أو انتظار للجزاء السريع أو الفورى، كما أنها أيضا تــدعو للجــد والمثابرة فى إطار المدى البعيد.

مجتمع التوازن والعدل:

أولاً: إن ممارسة الخلافة على الأرض لها مكونان أساسيان:

الأول يمكن أن يــسمى تنميــة الأرض "Development of the earth" وهذا يشمل تطويع الطبيعة لخدمة أغراض البــشر واســتزراع مواردها وزيادة إنتاجها. ولكن يجب أن يحدث ذلك فى ظل مفهوم الخلافة

وليس على سبيل الجشع والاستغلال، حيث يجب أن تكون الأعمال متوازنة مع فرض حدود على الجشع والأطماع الشخصية التى قد تجور على الرعاية المطلوبة للأنظمة الآخذة فى النمو المضطرد.

أما المكون الثانى للخلافة فيتعلق بالعمل على تنظيم هؤلاء الذين يعملون على الأرض ويتمتعون بخيراتها وإنتاجها على نحو عادل يتسم بالتعاون المتبادل، ويمكن أن يتحقق هذا فى مجتمع التوازن والعدل. فمجتمع التوازن والعدل الذى يقوم على مبادئ الإسلام له ملامح كثيرة أولها أنه يدعم ويرعى الحرية. والإسلام يعتبر دائما دينَ الحرية وعقيدتَها؛ فهو يحرر المؤمن من كل مخاوف الدنيا ويخلصه من كل القيود والأصفاد كما أن المؤمن يستطيع أن يتصل بربه مباشرة دون توسط من رجال الدين. والمؤمنون فى ظل الإسلام يشعرون بأنهم سادة لأعمالهم والله وحده هو الذى سيتولى حسابهم. وعلى هذا يكون إخلاصهم فى طاعة الله كاملا. وبما أن الطاعة للمؤسسات الدنيوية وللبشر أمر واجب، فهى لذلك تخضع للضمير، ولذلك فالمؤمنون أحرار ولكن هذه الحرية محددة بأطر وحدود القانون.

"يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم" (البقرة/١٧٨).

إن أى مجتمع يحاول أن يعيش فى ظل مبادئ الإسلام لابـــد لـــه أن يعمل على حماية حرية أفراده وكرامتهم، وذلك من خلال إطار شرعى لا يسمح بإهانة فرد من أفراده. وهذه الحرية تنطبق على الأسرة كما تنطبق على المجتمع، كما يجب أن تترجم هذه الحرية أو تفسر من خلال معناها الواسع.

ثانيا: إن مجتمع التوازن والعدل يشجع على البحث عن المعرفة والسعى للوصول إلى الحقيقة. والبحث عن المعرفة يعتبر سمة من أهم الـــسمات المميزة للإسلام؛ فكلمة المعرفة Knowledge يشار إليها فـــى العربيـــة بالعلم Ilm ولقد وردت واستخدمت هى ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٨٨٠ مرة.

ولكن المعرفة لا تتوقف عند نقطة محددة، حيث إنها تعتبر المنطلـــق والبداية لتقييم الحقيقة (والكلمة العربية لها هى Haq) وهذا الحق يمكـــن الكشف عنه كما يمكن إدراكه فى عالمنـــا هـــذا. ويـــستطيع المؤمنـــون الاستمتاع بالنظر إلى ما حولهم لإدراك الحقيقة ومعرفتها.

ولقد أمر الرسول محمد عليه الصلاة والسلام أتباعه بالبحـــث عـــن العلم حتى ولو كان فى الصين. ومن الجدير بالذكر أن الصين فى ذلـــك العهد كانت تعتبر نهاية العالم أو فى آخر الدنيا. ولقد وضع الرسول كذلك العلماء فى موضع متميز ومنزلة رفيعة، حيث قال ما معنـــاه أن الحبـــر

الذى يكتب به العلماء مثله مثل دم الشهيد. كذلك فإن أول كلمة نزلت على الرسول فى القرآن الكريم كانت الأمر بالقراءة والتعلم والبحث عن المعرفة.

ثالثا: يتميز مجتمع التوازن والعدل بالعمل والصناعة والإنتاج حيث إنها الطريق إلى الخلاص؛ فالإيمان يرتبط بالعمل.

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" (التوبة/١٠٥).

ويجب أن يراعى العمل تحقيق الصالح العام، حتى لو كان هذا العمل عملا خاصا، سواء أكان حرفة أم إنتاجا فكريا فإنه يجب أن يؤدَّى بنظام ودقة لتحقيق ناتج يكون على مستوى عال من الجودة. كما أن المؤمن فى الإسلام يعتبر مسئولاً عن غيره من البشر، وعليه أن يعمل على إعادة وتحقيق العدل بكل ما فى وسعه أو إلى أقصى ما يستطيع، وذلك كما جاء فى الحديث الشريف Hadith الذى يتضمن قول الرسول عليه الصلاة والسلام والذى يعتبر المصدر الثانى فى العقيدة الإسلامية بعد القرآن الكريم: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» حديث شريف.

وهذا الحث على العمل يؤكد بشدة ضرورة أن يكون المرء نشيطا ويعمل الصالح على كل المستويات، فالتأمل الفكرى لا يعتبر غاية فى حد

ذاته، ولكنه يعتبر وسيلة لتجديد الذات لكى تصبح قادرة على القيام بالمزيد من الأعمال الحسنة فى المستقبل.

رابعا: إن مفهوم العدالة فى مجتمع التوازن والعدل يعتبر مفهوما مطلقا. فبالنسبة للمسلمين كل الأعمال تعتبر نوعا من الاختبار، ويتحدد النجاح فيه طبقا للتصرفات والعمل بأسلوب عادل. ولقد سعت التشريعات الإسلامية لوضع حدود لما هو جائز وما يعاقب عليه المرء من أفعال فى تعاملاته مع الآخرين، كما حددت بالضبط نوع العقاب الذى يجب أن يوقع فى حالات الخروج عن هذه الحدود. ولهذا فإن المسئولية تقع على المشرعين لتطوير وتنفيذ القانون بالعدل التام على قدر إمكانهم. ولا تقبل التشريعات التراخى إذا كان الهدف منها أن تعكس أى نوع من التوازن فى ميزان القوى بين الجماعات والأفراد، أو إذا كانت تتعدى على حقوق الضعفاء. ولقد وجد العلماء أن هناك أشياء تكون أبعد عن قدرات المجتمع المسلم وتكون فى يد الخالق وحده عز وجل، وهذه حقيقة، غير أن الملامح الجوهرية والأساسية فى المجتمع الإسلامى تتحدد فى أنه يسعى لإقامة العدل على الأرض ولا ينتظر تحقيقه فى ملكوت السماوات.

خامسا: إن التغيير فى مجتمع التوازن والعدل يرتبط بالصالح العام، وفى ظل الإسلام يعتبر الصالح العام مبررا لتغيير بعض القوالب القديمة لتتمشى مع كل المتغيرات فى الحاضر والمستقبل. وإن مواصلة السعى

لتحقيق الصالح العام تدعو إلى إصدار وابتكار تشريعات جديدة، ومثال ذلك اتفاقيات التبادل التجارى الإقليمى أو نشأة مؤسسات التمويل الجديدة التى يمكن دعمها على أساس خدمة الصالح العام. ومن ناحية أخرى فإن التشريعات الجديدة التى يكون غرضها خدمة أو منفعة فئة قليلة على حساب مصالح الجماهير ككل، مثل منح حق المنفعة للأراضى التى قد ينشأ عنها إحداث أضرار يتعذر إصلاحها فى البيئة، وذلك من خلال إتلاف الغابات أو امتصاص محتوى المناجم Strip-mining، من الممكن أن ترفض على نفس الأساس.

إن التفسير الليبرالى Liberal interpretation لهذا المفهوم يتمثل فى (أن كل ما هو غير ممنوع مباح) ففى كل المجتمعات المسلمة توجد آليات Mechanisms وإجراءات Procedures يتم العمل بها بالتفصيل للتأكد من أن المبادرات الجديدة لا تزال متفقة مع المبادئ الأخلاقية للقرآن، وأن هذا التغيير أو التطور لن يؤدى مع مرور الوقت إلى التخلى عن المبادئ الأساسية للأخلاق التى تم وضعها وسادت فى الأصل فى مجتمع المدينة المنورة Medina فى القرن السابع.

وأخيرا لأن العدل يجب أن تحوطه الشفقة فقد أحاط مجتمع التوازن والعدل الفقراء والضعفاء والمحتاجين بالشفقة والرحمة على هذه الفئة من الناس الذين يعتبرون أقل حظا من غيرهم، وكذلك يوصى بالالتزام

بالشهامة عند الانتصار والعفو عند المقدرة وخاصة فى حـالات القـوة. فالنظام الإسلامى يعتبر أول مجتمع يقدم لأفراده إطارا للأمن الاجتمـاعى والرفاهية بحيث يكون للفقراء والمحرومين حق معلوم فى جزء من المال العام، بحيث لا يتركون للاعتماد على الإحسان. فالزكـاة Zakat تعتبـر ضريبة على الأغنياء وللفقراء الحق المطلق فيها. وقد فرض الله الزكـاة ووردت فى القرآن الكريم منذ الأيام الأولى فى عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام فى المدينة.

ورغم أن هذه المبادئ تعتبر بمثابة أسس جوهرية فى الإسلام فـإن هناك براهين كثيرة على صعوبة اتباعها. كما توجد بعـض المجتمعـات الإسلامية التى تعرضت لحكم الطغاة وسـيطرة الفـساد كغيرهـا مـن المجتمعات الأخرى، ولكن بالرغم من ذلك فقد ظلت الرسالة الخاصة بهذه المبادئ تلهم الجيل بعد الجيل من المصلحين الذين حاولوا أن يفسروها من خلال أحكام معاصرة وذلك فى إطار الالتزام الراسخ بمجتمـع التـوازن والعدل.

إن نموذج التنمية الذى يتمشى مع أسس الإسلام سوف يتطلب موقفا جديدا تماما يختلف اختلافا جوهريا عن المبـدأ الاقتـصادى الكلاسـيكى الجديد فى الغرب Neo-classical economic approach فى ناحيتين مهمتين.

أولا: إنه يتطلب رؤية كلية وشاملة للتنمية بحيث تتضمن النواحى الاجتماعية والسياسية والثقافية والطبيعية والاقتصادية.

ثانيا: أن يكون التركيز فيها على الإنسان وليس على الناحبة الاقتصادية فقط. إن هذا التركيز على البشر يعتبر تخليا عن التيار السائد فى الفكر الاقتصادى حيث يكون النمو الاقتصادى أساسا مشتقا من العمل وليس من خلال الاستثمار، ولا تعتبر النفقات على الموارد البشربة أكثر من كونها نفقات اجتماعية رأسمالية غير مباشرة Social overhead capital.

معايشة الإيمان:

فى الوقت ذاته الذى كنت أحاول فيه إجراء بحوث عن موضوعات نظرية من وقت لآخر سعيا وراء التوصل إلى النموذج الشامل للتنمية استغرقت تماما فى مهمة مواكبة العالم غير المتكامل والتعايش معه. ولقد كان الأساس لطبيعة عملى فى البنك الدولى هو العمل على مساعدة كثير من المجتمعات الموجودة التى يسود فيها الفقر والمرض والجوع والجهل وتحسين أحوالها. هذا ولقد أتاح لى عملى فرصة واسعة لمعايشة الإيمان يوما بيوم، وتتحكم الأخلاق والحكمة عندما أترك ضميرى يقودنى ويرشدنى وأنا أتخذ القرارات. إن معايشة الإيمان تعتبر أمرا له أهمية كبرى، وخاصة فى الأمور التى تتعلق بضميرى المهنى والتى دائما ما

تدعونى إلى محاولة دعم مجتمع التوازن والعدل فى كل من مجتمع البنك الدولى البلاد التى نقوم بخدمتها ونعمل بها. ومن حسن الحظ أن البنك الدولى يعتبر مكانا نموذجيا لشخص له ضمير حى فى العمل، حيث يلتزم البنك الدولى بمثل العليا ودعم النمو الاقتصادى والقضاء على الفقر فى كل أنحاء العالم. فالمجال مفتوح للفكر الرشيد والمناقشات الجادة لتحقيق هذه الأهداف، ولقد تمت دراسة مجموعة من الأفكار الجديدة فى هذا الصدد بقدر كبير من الموضوعية.

لقد عبر البنك الدولى الجسر السياسى لتقرير وتحديد مواقفه فى كثير من القضايا. فالمناقشات التى حدثت فى أوائل السبعينيات الخاصة بإعادة التوزيع وفقا للنمو أنهت الزعم القائل بأن توزيع الدخل أمر لا تختص به الوكالات الدولية، فتلك أمور تختص فقط بالسياسات الداخلية للدول ذات السيادة. وفى إطار البنك الدولى فإن معايشة الإيمان تعنى عدة أشياء، فهى تعنى مواصلة البحث عن الحقيقة حيث يجب فحص الأدلة بعناية كما يجب الانتباه التام إلى ما يحدث فعلا أثناء تنفيذ المشروعات، كذلك يجب تدعيم الأبحاث عن القضايا المعقدة مع مواصلة الانفتاح حتى يمكن الوصول إلى أفضل الحلول الممكنة. فإن الوصول إلى الحقيقة أمر ممكن وذلك عن طريق البحث عن المعرفة والتساؤل والفحص.

إن معايشة الإيمان تعنى وتتضمن قول الصدق. وبالنسبة للقضايا الصعبة التى قد تكون محرجة يجب ألا نغمض أعيننا عنها، كما لا يمكن

استبعاد الأمور الحساسة، إذ إنّ الالتزام بالحقيقة يعنى ضرورة الوقـوف والتصدى لمناقشة القضايا المهمة مهما كانت تحتوى على أية تناقضات.

وتعنى معايشة الإيمان أيضا تنفيذ الحق وذلك كمـا أراد لنـا الله أن نفهمه، إذ إنّ التحليلات والمناقشات يجب أن تتبع بالعمل الجاد والواضح. ولذلك فإنه يجب دعم كل السياسات والبرامج والمشروعات التـى يمكـن تدعيمها فنيا وماليا عن طريـق المجتمـع الـدولى. كمـا يجـب دعـم الإصلاحات التى تقوم بها الحكومات فى الدول النامية، وعلى المجتمـع الدولى أن يعبئ إمكانياته لدعم الجهـود للوصـول إلـى تحقيـق هـذه الإصلاحات.

كما تعنى معايشة الإيمان كذلك أن نعطى حق التصويت للمحرومين منه فى العالم؛ فهناك ملايين من صغار الفلاحين وكذلك الفقراء من سكان المدن الذين أدى ضعفهم السياسى إلى تعرضهم إلى بؤس لا نهاية له. كما أنها تعنى أيضا المساواة فيما يختص بالأمور التى نجد فيها تفرقة بـسبب أو على أساس الجنس، كما تعنى أيضا الوقوف إلى جانب الفقراء وخاصة فى أوقات الحاجة. إن مصالحهم يجب أن يتم إبرازها فى الأروقة الخاصة بأقطاب القوة حيث تناقش هناك السياسات والقرارات المهمة.

ومعايشة الإيمان تعنى أيضا الموازنة بين المصالح والبدائل المطلوبة بأسلوب عادل يتسم بالرحمة ولا يقوم فقط على أساس فنى أو تـشريعى،

فالحاجة إلى العدل والمساواة تعتبر أمرا على جانب كبير من الأهمية، وخاصة فى الحالات الحالية مثل أزمة الديون حيث تتنافس مصالح وطلبات واقعية على مصادر محدودة مما يدعو إلى ضرورة اللجوء إلى التحكيم الدائم. كذلك فإن الالتزام بتنفيذ العقود وفرض الضرائب على هؤلاء الذين أثقلت الحياة كاهلهم، والمتطلبات الخاصة بالتجارة الدولية والعدل والمساواة فى تحمل الأعباء. كل هذه تعتبر من الأمور التى لا تزال تشكل الكثير من المشاكل المعقدة التى يجب طرحها للمناقشة. إن إيجاد الصيغة المناسبة يعتمد على الظروف المعينة لكل حالة، ولكن هناك أمرين أساسيين ومهمين بالنسبة لتلك المناقشات الفنية والمعقدة وهما يتعلقان بما يلى:

أولا: ضرورة الفهم الواضح بخصوص من سيدفع؟ ولماذا؟

ثانيا: وجود موقف متوازن للملاءمة والربط بين الطلبات الواقعية مع القدرة على الدفع.

ومعايشة الإيمان تعنى أيضا تشجيع ودعم التعاون الدولى، ويتضمن هذا تشجيع إقامة حوار أفضل بين الدول المتقدمة والدول النامية، والعمل على توفير شروط متوازنة للتجارة ودعم وتشجيع الصفقات الدولية. كما أنها تعنى أيضا تشجيع ودعم التكامل الإقليمى والذى يعتبر ضرورة مهمة لا يمكن التغاضى عنها، كما أنه يعتبر هدفا سياسيا واجتماعيا وضحت

الرغبة فى تحقيقه مؤخرا. وتقدم أفريقيا جنوب الصحراء تحديا حقيقيا للنظر بجدية إلى الدعوة الصادقة إلى العالمية والأخذ بالجهود المبذولة لبناء المؤسسات الإقليمية للوقوف فى مواجهة القومية وذلك بالرغم من مضى سنوات طويلة من النضال والمحاولات الفاشلة.

إن تحقيق مجتمع التوازن والعدل فى عالم يسحقه الفقر ويغلب عليه الحرمان من المساواة يعتبر نوعا من التحديات. كذلك فإن عملية تخفيف وطأة الفقر وتوفير الضروريات لا تعتبر عملا جديدا أو إضافة إلى المسئوليات الأساسية للبنك الدولى، والذى من مهامه الأساسية دعم النمو الاقتصادى والذى يعتبر المحور الأساسى فى التنمية، كما أنها تسبغ على ما نقوم به من جهود بصورة يومية معان كبرى وأهمية لا تخطئها العين. ولذلك فإنه بين السعى المتأنى والخطوات السريعة فقد قررت أن أمارس وأقدم النصح فى عمليات وضع برامج إصلاح وتعديل الاقتصاد القومى بحيث تصبح الأبعاد الاجتماعية لهذه البرامج ركيزة أساسية لعملية صنع القرار.

وبصفتنا خلفاء على الأرض كيف لنا أن نسكت على ما يحدث من تدمير للبيئة بشكل مستمر وخصوصا فى أفريقيا؟ إن عملية التصحر المخيفة وإزالة الغابات خلقت كابوسا حقيقيا أصبح جاثما هناك بدلا من المساحات الشاسعة التى كانت خضراء مورقة. وتوضح الإحصائيات الأخيرة أن غابات أفريقيا التى كانت موجودة فى عام ١٩٨٠ ووصلت

مساحتها إلى ٧٠٣ مليون هكتار يجرى إزالة ما عليها من غابات بمعدل ٣,٧ مليون هكتار كل عام وذلك بعد أن أصبح هناك ٥٥ مليون أفريقى يعانون من النقص فى وقود الخشب. وعلاوة على ذلك فإن ما بين حوالى ٨٠٪ إلى ٩٠٪ من المراعى، و٨٠٪ من الأراضى التى تعتمد على الرى بالمطر، و٣٠٪ من الأراضى الزراعية التى تستخدم الرى كلها تأثرت بعملية التصحر.

إن دعم حملة قومية قوية تهدف إلى الوقوف ضد هذا التيار وإعادة البيئة الطبيعية لما كانت عليه لا يعتبر نوعا من الشفقة على الأراضى التى تدمر بصفة خاصة، وإنما هو جزء من دور جوهرى لوجودنا على هذه الأرض، حيث إنه علينا أن نعتنى بها ونسلمها غنية - لا فقيرة كئيبة- للأجيال التى ستأتى بعدنا، والتى ربما لم تولد بعد. وفى خارج البنك الدولى فإننى أمارس اهتمامات متوازنة تهدف إلى الارتقاء بالتعبير الفنى المعاصر عن الثقافة والجماليات فى المجتمعات الإسلامية. ولقد وقع اختيارى على مجال الهندسة المعمارية وفن النقد المعمارى حيث يعتبر المعمار مرآة للمجتمع ينعكس على صفحتها أسباب ضعفه وأمراضه، تماما كما تنعكس عليها علامات صفائه وهدوئه ورفاهيته. وبدون رومانسية الماضى فإننا نجد أن الضواحى التى تصلح لإقامة المبانى فى مجتمعات مثل مالى أو النيجر، تعكس بوضوح صفاء وسكون حضارة

ثقافية عريقة لهذه المجتمعات، استطاعت أن تبقى فى سلام مع نفسها بالرغم من المصاعب الشديدة التى تواجهها هذه المجتمعات، وعلى العكس من ذلك فكم من المدن الحديثة فى العالم الثالث تخيم عليها أمارات تعبر عن القلق وروح العصر!! إن الطاقات الضعيفة بالإضافة إلى البؤس المزرى تنعكس فى الرؤية المهتزة للأفراد فى هذه المجتمعات.

وفى مواجهة الفقر المذل وفقدان الهوية أصبح الناقد المعمارى قوة بناءة وخلاقة. حيث لابد للناقد أن يقول ويعكس الحقيقة كما يراها، ويساعد من خلال ذلك على إيجاد توازن بين احترامنا للماضى واحتياجات الحاضر، مع تذكير الناس بالحقيقة الباقية بالنسبة لأنفسهم ولهويتهم. ولذلك فإن مفهوم الخلافة على الأرض يتعلق بالروابط بين البشر والبيئة سواء الطبيعية أو الصناعية.

إن هذين الوجهين اللذين أشرت إليهما عن عملى قد شكلا سويا حياتى الوظيفية، ولم يكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، ولم يكن لى أن أشعر بالرضا التام بدونهما معا. ولقد كان من حسن حظى ومن دواعى سرورى أن أعمل فى مكان مكننى من أن أعطى كل وقتى لتحقيق هذه الاهتمامات.

يتفق مؤلفو هذا الكتاب بخصوص القضايا الكبرى فى عصرنا هذا على:

القومية الحادة العنيفة، والحروب بأشكالها الكئيبة، والمحرقة النووية،

وغياب المعتقدات الأخلاقية الذى سمح بوجود أنماط الاستهلاك المتوحشة، وميزانيات التسليح الضخمة جنباً إلى جنب مع الفقر المذل وسوء التغذية والجوع، وغياب احترام حقوق الإنسان الأساسية، والاستهانة بالبيئة فى سبيل تحقيق أهداف قصيرة المدى، وغياب رؤية شاملة للتعامل مع هذه المشكلات.

وإن الوسيلة التى يجب أن تستخدم فى التعامل مع هذه القضايا التى تحيط بالعالم تتمثل فى قيام كل فرد أو كل مجموعة بإصلاح الذات أولاً، ولطالما تم التأكيد على إصلاح الآخر، أو الأمة الأخرى، ولكن دعونا نجعل كل فرد منا يؤسس سلوكه على مبادئ تنبثق من تقاليدنا الأخلاقية، دعونا جميعا نحاول أن نرتقى إلى مستوى مثلنا العليا .

مراجع وملاحظات:

انظر:

Robert S. McNamara "Address to the Board of Governors", The World Bank, Washington D.C. , Sept. 26, 1977, p.7.

انظر مثلا:

Stephen Jay Gould, The Mismeasure of Man, New York: W.W. Norton, 1982, p.74.

للمزيد من المعلومات بخصوص مناقشة آثار التحديث المتسارع على البيئة، انظر:

I. Serageldin, "Rural Architecture In the Yemen Arab Republic." In The Changing Rural Habitat, Volume I: Case Studies, pp. 1-10. Proceedings of Seminar Six in the Series Architectural Transformations in the Islamic World, held in Beijing, People's Republic of China, October 19-22, 1981. Singapore: Concept Media Ltd. for the Aga Khan Award for Architecture, 1982.

خاتمة

ديفيد بيكمان

تعد كل مقالة فى هذا الكتاب تعبيرًا عن الإيمان وتوضيحًا للعلاقة بينه وبين الأدوار التى نلعبها فى العالم وفى التنمية الاقتصادية، وإننا نتفق جميعا على أن الإنسانية فى طريقها إلى مواجهة صعوبات حقيقية – وربما يصل الأمر إلى حد الكوارث – وإذا لم يكن للقيم الروحية أثر فى مسيرة تطور الإنسانية ونموها، وعلى الرغم من أن الأحداث الأخيرة فى أوروبا الشرقية تعد أحداثا مشجعة، فإننا نعتقد أن التجاهل العام للاعتبارات الأخلاقية والدينية أمر يعرض العالم الحديث للخطر .

وإننا لم نبدأ مناقشاتنا هذه باعتقاد أكيد بأن الكارثة قادمة، وليس من بيننا من يتسم بالتشاؤم، كما أننا، فى الواقع، نفضل ألا تكون رؤيتنا للأمور من هذه الزاوية، ولكن فى إطار التعبير عن معتقداتنا وما تتضمنه هذه المعتقدات من معان، دفعتنا تقاليدنا ودفعنا تحليلنا للواقع فى هذا الاتجاه. ويرى بيكمان وسراج الدين أننا بين يدى الله، أما أجروالا وبيرميستر فيقولان إننا نقف عند مفترق الطرق فى تاريخ التطور الإنسانى، ولكننا جميعا نؤمن بأن مسيرة التاريخ المعاصر يجب أن يعاد تشكيلها فى إطار من القيم، وذلك حتى نتمكن من تفادى الكوارث التى قد تنتج عن الوضع الحالى.

وفى وقتنا هذا، ربما أكثر من أى وقت مضى، يعيش العالم كله تاريخا واحدا، ويجب أن تخاطب جميع الأديان والتقاليد الأخلاقية الخبرات العالمية المشتركة فى القرن العشرين، فبالنسبة لنا جميعا اكتسبت مشكلات سياسية واقتصادية معينة أهمية دينية. طوال الجيل الماضى كانت الإنسانية تطور من قدرتها على تدمير ذاتها عن طريق الأسلحة النووية، وهذا الواقع الجديد يعطى للتاريخ طابعًا حزينا، خاصة وأن هذا القرن يتصف باتجاهات قومية لم يسبق لها مثيل. كما أنه على الرغم من أن الحرب الباردة قد خفت حدتها إلا أن الشرق الأوسط تحيط به الحروب. وكذلك فإن ميزانية التسليح فى العالم لم تنخفض كثيرا، أما القلاقل فى الاتحاد السوفيتى فتنذر بسيناريوهات جديدة قد تؤدى إلى حرب نووية.

ولما كان العالم قد أصبح أكثر ارتباطًا ببعضه البعض عن طريق الاتصالات الإلكترونية والتجارة، فقد تحولت المطالبة التقليدية بالعدالة الاجتماعية إلى النطاق العالمى، ففى عالم نرى فيه ضحايا المجاعات فى نشرات الأخبار كل ليلة لا يمكن أن يقتصر إحساسنا بالشفقة على أبناء بلدنا فقط. وفى عالم تدور خمس منتجاته فى تجارة حول العالم تحثنا كل القيم الأخلاقية على تقليل الفقر والجوع اللذين مازالا يسودان جزءًا كبيرا من العالم، كما أننا لا يمكن أن نتظاهر بأن القمع الشديد لحقوق الإنسان فى مناطق عديدة فى أنحاء العالم ليس من بين اهتماماتنا .

وإنه من الواضح أن النمو الاقتصادى غير المسبوق الـذى شـهده الجيل السابق قد أدى إلى إرهاق البيئة الطبيعية – فى حالات معينة – إلى نقطة تصل إلى نقطة الانهيار. وحتى نقوم بحماية البيئة التى نعيش فيهـا جميعًا، هل من الضرورى أن نقلل كثيرًا من مستوى المعيشة فى البلدان الصناعية ؟ هل سيكون من الممكن المحافظة على النمو الاقتصادى مـع تغيير نمط هذا النمو بشكل يقلل من الأضرار التى تلحق بالبيئة وذلك عن طريق تقليل استخدام الوقود المستحاثى كالفحم والنفط من الأرض مثلاً)؟

وإننا فيما بيننا لم نتفق على نوع التغيير البيئى الجذرى الذى سيتطلبه هذا التقشف فى استخدام الموارد البيئية، ولكن لا يمكن لأى نسق أخلاقى ألا يتأثر باحتمالات الأضرار التى تلحق بالأرض التى تقدم لنـا الحيـاة. وإن حماية هذا الكوكب أمر يتطلب تغييرًا بعيد المدى، وخصـوصًا فـى البلدان الصناعية.

ويشعر كتاب هذه المقالات الأربعة بالإعجاب بما حققه التقدم العلمى والاقتصادى الحديث وبما قد يحققه فى المستقبل. وإن بيرميـستر متـأثر بالعلم كثيرًا، ولكننا جميعًا نوقن بأن الإيمان يجـب أن يكـون مفتوحًـا ليحتوى الحقيقة التجريبية، لا مستمدا من العلم بدون تفكيـر فـى إطـار دوجما، وإننا نرى أن التنمية الاقتصادية السريعة التى شهدتها الإنـسانية فى المائتى عام السابقة بالإضافة إلى التنمية المتسارعة فى العالم أجمـع

التى شهدها الجيل السابق قد أدت إلى خير يفوق كثيرًا الشرور التى نجمت عنها، ولكن التقدم المادى قد أعطى لقوى الشر أيضا قدرات لم يسبق لها مثيل. وإن جميع التقاليد الأخلاقية الإنسانية تعلمنا أسسًا أخلاقية متشابهة، قيما مثل الأمانة والتواضع والاهتمام بالآخرين. أما المادية والعلمانية فقد أضعفتا إرادة الناس للقيام بما يعتقدون بالفعل أنه صواب.

ويحتاج العالم إلى أناس يتمتعون بدوافع عالية أكثر من أى فترة سابقة، وذلك فى ظل خطر نشوب حرب نووية أو انفجار بسبب الظلم وعدم العدالة فى هذا العالم المتشابك، أو احتمالات الدمار البيئى، ولكن يبدو أن الحياة المادية تخلو من أى أهداف أكثر قوة من تحقيق الثراء. ويشخص مؤلفو هذا الكتاب الداء الروحى الذى يعانى منه العالم بصور مختلفة، ويقدمون حلولا مختلفة، فيرى أجاراوالا أن المشكلة الأصلية تتمثل فى الأسطورة الحديثة الخاطئة التى تقول إن التطور والتقدم ينشآن عن الصراع، ويوصى بتكامل جديد بين العلم والدين، فالبيولوجيا (علم الأحياء) وما يصفه على أنه "علم الروح" يقومان على المفهوم الذى يقول إن التطور ما هو إلا الكشف التدريجى عن القدرة الإلهية الكامنة فى كل شىء.

أما بيكمان فيرى أن أصل المشكلة يتمثل فى غياب الطاقة الأخلاقية، ويأمل أن تؤدى المناقشات الموسعة لمشكلات العالم، وكذلك الأنشطة

الفردية وإعادة الحياة للمسيحية إلى تنشيط طاقات إضافية للتعامل مع المهام التى بين أيدينا الآن .

ويؤكد بيرميستر أنه يوجد أيضًا إحساس بغياب الهدف حتى فى البلاد التى لا ينبغى على أفرادها القلق بخصوص الوفاء باحتياجاتهم الأساسية، ويقترح نموذجًا جديدًا يمكن أن يعطى معنى للحياة، وهذا النموذج سيركز على مهمة الوفاء بالاحتياجات الأساسية على مستوى العالم، وعلى إعادة بزوغ الفردية، وعلى الأعمال الإبداعية الجديدة .

أما سراج الدين فيرى أنه ربما كان أصل المشكلة يتمثل فى عدم كفاية وشمولية المعتقدات المعاصرة وخاصة هذا المعتقد الضيق الذى يعرف "بالقومية"، ويقول إننا يجب أن نبدأ بإصلاح أنفسنا، فيمكن للمسلمين أن يصلحوا مجتمعاتهم عن طريق الحفاظ على إرادة الله أن يكون الإنسان خليفة له على الأرض The steward of creation .

وتعتمد هذه التشخيصات المختلفة للمشكلة على خلفياتنا الثقافية والدينية المتنوعة، فلأن بيكمان وسراج الدين يعبدان إله إبراهيم فإنهما يتوقعان أن يجدا قوة روحية فى رحمة الله وفى العودة إلى طاعته مجددا، فيؤكد بيكمان، ملتزمًا بعقيدته المسيحية، القوة المنشطة لرحمة الله، فى حين أن سراج الدين، ملتزمًا بعقيدته الإسلامية، يؤكد العمل الإنسانى .

أما أجاراوالا وبيرميستر فيقومان بمسح للتجربة الإنسانية العامة –

لا يقتصر على وحى بعينه – بحثا عن الاسترشاد الروحى، ويريان مصير الإنسانية فى إطار التطور الإنسانى، وهما أقل اهتمامًا من سراج الدين وبيكمان بمسألة الولاء لتقليد بعينه، ولكن بيرميستر، تعبيرًا عن جذوره الغربية، يميل إلى الاعتقاد بأن التطور يحدث من خلال طفرات فى الإبداع الإنسانى (بوذا أو المسيح أو باخ أو أينشتين)، فى حين ينظر أجاراوالا، من خلال جذوره الهندوسية، إلى التطور على أنه نتيجة للتكامل بين حقائق متنوعة وبين شعوب عديدة .

وعلى الرغم من أن رؤيتنا لمشكلات العالم الكبرى رؤية متشابهة، إلا أن هذه الاختلافات فى التحليل الروحى تقودنا إلى التأكيد على أنواع مختلفة من الإصلاح العالمى. فيؤكد أجاراوالا على وسائل عالمية جديدة وأسواق جيدة وحركة تشبه حركة غاندى من حيث كونها بسيطة وتدعو إلى أعمال الخير. ويأمل بيكمان فى إحياء أرواح متحمسة لتشجيع المزيد من الجهود فى مجال نزع السلاح والتنمية الاقتصادية. ومثل هذه الجهود يمكن أن تزداد قوة أو أن تتحسن، ولكن عليها أن تسير أساسًا على خطوط من الإصلاح الليبرالى الذى شهده الجيل السابق.

وبيرميستر أكثر جرأة بخصوص ما قد تحققه الجهود الأخلاقية، .وعلى ذلك فإنه يحثنا على العمل من أجل تحقيق تغييرات جذرية تتمثل فى: خفض التسلح بصورة كبيرة، وتقليل عدد السكان، والحد من استهلاك

الموارد. فى حين يدعو سراج الدين كل فرد إلى إصلاح نفسه، وبالتـالى فإنه يركز اهتمامه على ما يتضمنه مفهوم "الخلافـة" للمـسلمين وعلـى نموذج "المجتمع المتوازن" فى البلدان الإسلامية .

ويمكن لهذه السبل المتنوعة للعمل أن يكمل بعضها البعض، وإن كان أجاراوالا وبيرميستر يعتقدان أن إيمان بيكمان بالمسيح وإيمـان سـراج الدين بالقرآن يمثلان بقايا فترة أكثر بدائية، ولم يعودا صـالحين للعـالم الحديث، فإن بيكمان وسراج الدين من ناحية أخـرى يريـان أن إيمـان أجاراوالا وبيرميستر بالاتجاهات الأخلاقية للإنسانية غير واقعى ومضلل.

ولكن لدينا جميع الأسباب الدينية التى تدعو للأمل. فيؤمن أجاراوالا أن القدرة الإلهية الكامنة فى الإنسانية ستفوز فى النهاية، أمـا بيرميـستر فيعتقد أن الناس سيقومون بالإصلاح إذا ما تفهموا أن ذلك فى مصلحتهم، ولكنه غير متأكد تمامًا من ذلك. ويأمل سراج الدين أن يلهم العقل والوحى الأفراد والأمم بالتصرف الصحيح. أما آمال بيكمان فتتمثـل فـى أن الله سيكون صبورًا مع البشرية، كما كان دائمًا فى الماضى .

إن رحلة الحج الخاصة بنا ، فى صباح كل جمعة وفى كتابـة هـذا الكتاب، قد ساعدتنا على مواجهة المهمة المعقدة التى تتمثل فى جعل القيم الروحية تنعكس على الأمور الدنيوية، وفـى النهايـة يمكننـا أن نوجـه الاهتمام إلى نوع النشاط الذى نتج عنه هذا الكتـاب، والـذى يتـضمن

الاستماع إلى أناس ينتمون إلى أمم وثقافات أخرى، فلقد أصبح الحوار بين شعوب العالم مسألة حياة أو موت، وذلك لأن العالم قد أصبح أصغر وأكثر عرضة للخطر .

إن البنك الدولى فى حد ذاته يعد أداة للتفاهم الدولى، ويجتمع مجلس إدارة البنك فى صباح أيام الثلاثاء، ويمثل مجلس الإدارة هذا ١٥٤ أمة، وبالتالى فإنه يضم تنوعًا ثقافيًا وسياسيًا هائلاً ، وتكون هناك مناقشات جادة فى هذا الاجتماع فى بعض الأحيان، ولكن بدون دعاية صاخبة وبدون حقد أو ضغينة، فمجلس الإدارة يوافق كل عام على منح ٢٠ بليون دولار أمريكى لمشروعات تشجيع النمو وتقليص الفقر فى الدول النامية .

إن هذا أمر ممكن، وذلك لأن المناقشات فى البنك الدولى تتركز جزئيًا على الإجراءات العملية لتشجيع التطور الاقتصادى والاجتماعى، والمديرون لا يعطون خطبا لبعضهم البعض تدور حول هذه القضايا الكبرى مثل خطر الحرب النووية، فنادرًا ما يستخدم مدير ما المجلس لإثارة جدل سياسى بين أمة وأخرى، والاختلافات الدينية والثقافية لا يتم التحدث عنها، ويستطيع المجلس لذلك، بعد أن ينحى الكثير من الموضوعات الخلافية جانبًا، أن يصل إلى اتفاق بخصوص رفع دخل صغار الفلاحين أو مساعدة دولة على استخدام موارد الطاقة لديها بصورة أكثر فعالية. ويمكن أن يتفق المديرون فى بعض الأحيان على اتخاذ

خطوات تعاونية للتعامل مع موضوعات ملحة وحادة مثل الدين العالمى أو التصحر فى البلدان النامية. ويصف أحد أعضاء جماعة الجمعة اجتماع مجلس إدارة البنك على أنه "معجزة صباح الثلاثاء".

إن المؤسسات الدولية مثل البنك الدولى تعد ظاهرة حديثة نسبيا ومازالت محدودة، ولكنها ذات قيمة عالية فى تاريخ البشرية. أما جماعة الجمعة المنبثقة عن البنك الدولى فتمثل أمرًا أكثر حداثة، بل إنه فى طور الجنين. إنها تمثل الترابط المتزايد الحميم الذى يزداد عمقًا بين شعوب العالم. إن اجتماعاتنا - لكونها صغيرة - تسمح بإنشاء علاقات شخصية ثرية. أما حواراتنا فتدور حول النواحى الاقتصادية والفنية للتنمية والقضايا العالمية والإشكاليات الثقافية والأخلاقية والروحية، فنحن نغوص فى قضايا سياسية ودينية يمكنها أن تكون مدعاة للخلاف.

ولكننا وجدنا أن مثل هذه المناقشات يجب ألا تؤدى إلى الخلاف، بل على العكس، لقد قربت هذه المناقشات بيننا وأعطت المزيد من الوضوح والطاقة لمهامنا ذات التفاصيل الدقيقة والمتعلقة بالتنمية العالمية.

المؤلفون فى سطور:

رامجوبال أجاراوالا

حصل على الدرجة الجامعية الأولى من الهند، كما حصل على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة مانشستر فى إنجلترا، وقام بتأليف كتاب يحمل عنوان An Economic Model for India (1970)، كما ساهم بعدة مقالات فى المجلات والدوريات المتخصصة. يلعب دورًا كبيرًا فى إعداد عدد من تقارير البنك الدولى المهمة عن أفريقيا على مدار العقد الماضى، كان آخرها يحمل عنوان Sub-Saharan Africa: From Crisis to Sustainable Growth (1989) كما كان المسئول عن إعادة الهيكلة التنظيمية للقروض لكوريا، كما عمل من قبل فى بعثة البنك المقيمة فى بنجلاديش.

ديفيد بيكمان

أحد كبار المستشارين فى البنك الدولى فى مجال المنظمات غير الحكومية، كما أنه كان المسئول عن إدارة الفريق الذى كان له الفضل فى توجيه البنك لتوسيع تعامله مع مجموعات Grassroots وغيرها من المنظمات غير الحكومية. كما عمل من قبل مُعدًّا لخطب مدير البنك، وقبل ذلك كان مسئولاً عن مشروعات الإسكان منخفض التكاليف وتحسين

أحوال المناطق الفقيرة فى غرب أفريقيا وأمريكا اللاتينيـــة. وهـــو قـــس لوثرى، وقبل أن يلتحق بالبنك الدولى كان يعمل فى برنامج تنمية تدعمه الحركة اللوثرية فى بنجلاديش، ومن بين مؤلفاته:

The Overseas List: Opportunities for Living and Working in the Developing Countries (1985).

وتم انتخابه فى عام ١٩٩١رئيسًا لحركة "الخبز للعـــالم" Bread for the World وهى حركة المواطنين المسيحيين لمحاربة الجوع.

وسفن بيرميستر

يعمل فى وظيفة السكرتير التنفيذى للبنك الدولى، والتى مـــن بـــين مسئولياتها التعامل مع مجلس المديرين التنفيـــذيين الـــذى يمثـــل الـــدول الأعضاء فى البنك، كما كان من قبل مسئولاً عـــن القـــروض الموجهـــة لقطاع التعليم فى البلدان التى تقع على شاطئ المحيط الهادى فـــى قـــارة آسيا، ومن بينها جمهورية الصين الشعبية. كما عمل أيضًا رئيـــسًا لقـــسم القرن الأفريقى، ومساعدًا شخصيًا لروبرت ماكنمارا عندما كـــان يـــشغل وظيفة رئيس البنك الدولى، ويحمل بيرميستر درجتين جامعيتين، إحداهما فى الكيمياء والأخرى فى العلاقات العامة، كما كان أستاذا مـــساعدًا فـــى جامعة جورج تاون خلال الفترة من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٨، وهـــو يتحـــدث عشر لغات، كما أنه مشهور فى الدانمارك ككاتـــب وصـــحفى ومعلـــق تلفزيونى، ويحمل أحدث كتبه الذى صدر باللغـــة الدانماركيـــة عنـــوان USA: Land of the Middle Class.

إسماعيل سراج الدين

مدير مكتبة الإسكندرية، ويرأس مجالس إدارة المعاهد السبعة والمتاحف الثلاثة التابعة للمكتبة. وقد نال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٧٢، وشغل بعدها عدة مواقع في البنك الدولي حتى عُيِّن نائبًا لرئيس البنك في عام ١٩٩٣، وظل بهذا المنصب حتى استقال منه عام ٢٠٠٠. وقد حصل على١٧ دكتوراه فخرية من جميع أنحاء العالم. كما ينتمي إلى عضوية العديد من الأكاديميات والمؤسسات العلمية، ورئيس وعضو اللجان الاستشارية في عديد من المعاهد والهيئات البحثية والعلمية والدولية. وقد قام بتأليف وتحرير أكثر من ٥٠ كتابا، بالإضافة إلى ٢٠٠ مقالة وبحث تقنى في مجالات الاقتصاد والعلوم والثقافة والأدب والعمارة، وله اهتمام خاص بمحاربة الفقر وقضايا المرأة وحقوق الإنسان وعمالة الشباب والبيئة وشئون المياه.

المترجم في سطور:

محسن يوسف

مستشار المشروعات الخاصة بمكتبة الإسكندرية. كان خبيرًا في اليونسكو والبنك الدولى، وغيرهما من المؤسسات الدولية والإقليمية، في مجالات التعليم وتخطيط تطوير الموارد البشرية. كما عمل أيضًا في مجالات الإعلام والمشروعات متناهية الصغر لمساعدة الفقراء، وخاصة من النساء. كما شارك في عديد من المؤتمرات والندوات حول التنمية المستدامة، ومُحاربة الفقر والجوع. وشارك في العديد من البحوث والدراسات حول تنمية المجتمع المحلى وهجرة العمالة وسوق العمل والإعلام والمعلومات.

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـــى: حســـن كامـــــل



تقدم النسخة العربية من هذا الكتاب فرصة طيبة لمعايشة المناقشات الفكرية التى تمت داخل أكبر وأهم مؤسسة للتنمية فى العالم، على أمل أن تعبر الأفكار المطروحة فى هذا الكتاب عن أهمية القيم فى التنمية، وتعيد الثقة فى إمكانية تحسين مستقبل الإنسانية من خلال ما طرح فى الكتاب من أفكار يجمعها فى الاصل نسيج أخلاقى واحد، رغم اختلاف الانتماء إلى التقاليد الدينية والثقافية لأصحاب الآراء المطروحة التى ركزت على معالجة قضايا التنمية وسبل الحفاظ على الحياة بطريقة أفضل على كوكب الأرض، وعلى أمل أن تبشر هذه المحاورات بالرغبة فى العمل على تحقيق مرحلة جديدة يحل فيها الحوار مع الآخر محل الصراع والنزاع والصدام.

مدير مكتبة الإسكندر...

إسماعيل سراج الدي...

